



جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

صورة الفرزدق في شعر جرير

إعداد الطالب
حمد عبد الله محمد الجبوري

إشراف
الأستاذ الدكتور خليل الرفوع

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الأدب / قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2015م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر

بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

جامعة موتة
كلية الدراسات العليا

نموذج رقم (١٤)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب حمد الجبوري الموسومة بـ:

صورة الفرزدق في شعر جرير

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

التاريخ	التوقيع	
٢٠١٥/١٢/١٥		أ.د. خليل عبد الرفوع
٢٠١٥/١٢/١٥		أ.د. علي ارشيد المحاسنة
٢٠١٥/١٢/١٥		د. ماهر احمد المبيضين
٢٠١٥/١٢/١٥		د. سلامة هاني الغريب

عميد الدراسات العليا

د. محمد المحاسنة

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail:

des@mutah.edu.jo sedes@mutah.edu.jo

http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

موتة - الكرك - الأردن
الرمز البريدي: ٦١٧١٠
تلفون: ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس ٠٣/٢ 375694
البريد الإلكتروني
الصفحة الإلكترونية

الإهداء

حين يصل المرء إلى باكورة عطائه، وقمة إنتاجه، فلا يسعه إلا أن يقدم هذا العطاء، إلى أعز من لديه في هذه الحياة، في محاولة منه لتبيين مدى حبه وتقديره لهم.

إلى من شجعني إلى طلب العلم والدي أطال الله في عمره.

إلى روح والدتي تغمدها الله برحمته وأسكنها فسيح جنانه.

إلى رفيقة دربي أم عبدالله حفظها الله، إلى شموع الأمل عبدالله، أزهار، منار، جنان، نبأ.

إلى الأهل والأحبة، والإخوة والأخوات، وجميع الأصدقاء والزملاء، وأخص منهم من كان يرافقني في حياتي الدراسية.

كما أهدي هذا العمل لكل طالب من طلبة العلم، وإلى كل باحث من الباحثين.

حمد عبدالله محمد الجبوري

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا الجهد المتواضع، ويسعدني أن أشكر أساتذتي جميعهم الذين أفدتُ من علمهم، وتوجيهاتهم كثيراً، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور خليل عبد سالم الرفوع، أستاذ الأدب الجاهلي، الذي اقترح عليّ دراسة صورة الفرزدق في شعر جرير، وكان نعم الأستاذ المتابع والموجه المقيّل العثرات. فكان خير عونٍ لي في بلورة أفكار هذه الدراسة وإرساء دعائمها بصورتها النهائية، ولله الفضل الكبير، بعد الله تعالى، في تطويرها وإخراجها إلى حيّز الوجود، فقد علّمني أمانة العلم وسعة الصدر، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة رسالتي هذه، وهم: الأستاذ الدكتور علي المحاسنة، والدكتور ماهر المبيضين، والدكتور سلامة الغريب إذ كان لملاحظاتهم الأثر الكبير في إخراجها بهذه الصورة. ثم أصلُ الشكر لهذا البلد المعطاء (الأردن)، ولجامعة مؤتة التي سهلت لي الالتحاق بالدراسات العليا، ولأساتذتي الذين قوّموا خطواتي العلمية باهتمام أوصلني إلى هذه المرحلة من التحصيل.

حمد عبدالله محمد الجبوري

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
هـ	الملخص باللغة العربية
و	الملخص باللغة الإنجليزية
1	المقدمة
4	التمهيد
4	العلاقة بين الشاعرين
24	مصادر الصور وتأصيل دلالاتها
25	أولاً: ضعة النسب وإنكاره
28	ثانياً: الغدر وعدم حماية الجوار
29	ثالثاً: عدم القدرة على الأخذ بالثأر
31	رابعاً: الفرار يوم الزحف
39	الفصل الأول: صورة الفرزدق الأخلاقية في شعر جرير.
40	1.1 الفرزدق زانياً
43	2.1 الفرزدق شارباً الخمر
44	3.1 الفرزدق لثيماً
49	4.1 الفرزدق فاجراً فاسقاً
50	5.1 صورة رجساً عديم الطهارة
55	الفصل الثاني: صورة الفرزدق الشكلية
55	1.2 الصورة الحيوانية
58	2.2 صورة الفريسة
63	3.2 الفرزدق شقي ثمود
64	4.2 صورة القين

74	5.2 صورة الذليل
77	الفصل الثالث: صورة قبيلة الفرزدق ورهطه
77	1.3 الصورة الحيوانية
81	2.3 صور النباتات
86	3.3 صورة اللؤماء
90	4.3 صورة ضُعفاء القلوب
92	5.3 صورة أهله
93	6.3 صورة والد الفرزدق
94	7.3 صورة أم الفرزدق وأخته جعثن وزوجه النوار
97	الخاتمة
99	المراجع والمصادر

الملخص

صورة الفرزدق في شعر جرير

حمد عبدالله محمد الجبوري

جامعة مؤتة، 2015

تناولت هذه الدراسة صورة الفرزدق في شعر جرير، وقد تكونت هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، تناول الفصل الأول: صورة الفرزدق الأخلاقية، في حين عرض الفصل الثاني صورة الفرزدق الشكلية، وتضمن الفصل الثالث صورة رهط الفرزدق وأهله. أما منهج الدراسة فقد تمثل في المنهج الوصفي التحليلي، بناءً على ما اقتضته فصول الدراسة. وفي خاتمة أبرز الباحث فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، نذكر منها:

أثبت جرير أنه صاحب قدرة فنية عالية؛ إذ باستطاعته أن يتخير للمهجو من الصور أنواعاً يرسمها حينما يشاء، فقدره جرير الفنية في رسم الصورة الهجائية وتفننه بها قد أسعفته على خلق الصور الناطقة المعبرة، ومن المعاني والألفاظ الواضحة فهي نافذة معبرة ومؤثرة لدى القارئ والمتلقي.

رسم الفرزدق في صور فنية ساخرة، منها: صورته لثيماً، و فاجراً فاسقاً، و قيناً، فهي تثير الإضحاك والعجب والتسلية لجمهور المرید. فقد أفرغ جرير الفرزدق من الفضائل جميعها، وكأنها حقيقة ثابتة فيه.

وتناول جرير قبيلة الفرزدق وراح يهجوها بصور هجائية مختلفة ومن جوانب متعددة منها: الصورة الحيوانية، وصورة اللؤماء، وصورة ضعفاء القلوب، فيجردهم بها من أشكال الأدميين والروح الإنسانية.

ذهب جرير في هجائه أهل الفرزدق فبلغ عبثه بهم كل مبلغ، فصورهم بصور مزرية فقد بالغ في الفحش في أشعاره كل مبلغ، وقد وظّف جرير تلك الصور توظيفاً فنياً محترفاً لا يثير الخصومات، وقد نالت القبول والتشجيع من قبل عامة الناس البعيد منهم والقريب.

Abstract
Al-Farazdaq's Image in Jareer's Poetry
Hamad Abdullah Muhammad Al Jubury

Mu'tah Uneversity 2015

This study deals with Al Farazdaq's image in Jareer's poetry; it consists of preface, Introduction, three chapters and conclusion .

Chapter one deals with Al Farazdaq's moral image. Chapter two displays Al Farazdaq's formal image. Chapter three concludes Al Farazdaq's tribe and family's images . Method of the study is analytic descriptive method, according to chapters of this study .

In conclusion, the researcher focuses on the most important results, then he mentions the following :

Jareer's provided that he was the owner of high artistic ability , so that he could choose satirist image from other types and draw them whenever he wanted to .

Artist Jareer's ability to a satirist image that aids him to create articulated expressing image and clear utterance and meanings , so that it is a penetrating and influence to readers and listeners .

Jareer draw Al Farazdaq as an artist mocking image he said" I portray him as a mean, immoral, wanton and slave ", so that this picture causes laughing , surprising and fun for Al Mirbed audience . Jareer made Al Farazdaq as an empty as if they are facts .

Jareer deals with Al Farazdaq's tribe and satirist them as a different satirizing for many phases :

Brutal, means and feeble images to make an inventory of human figures and human spirits. Then Jareer satirized Al Farazdaq's family and described them in bad pictures and employed them in an artist professional that he didn't cause conflicts . These poetical descriptions got acceptance and encouragement by relatives and common people .

المقدمة

لم يشهد عصر من عصور الأدب سواءً عصر ما قبل الإسلام أو العصور الأخرى شعراء، مثل جرير والفرزدق ثار بينهما ما ثار من هجاء، وقد خلف لنا هذا الهجاء ديواناً ضخماً (نقائض جرير والفرزدق) الذي شرحه أبو عبيدة عامر بن المثنى التميمي ت (206 هـ) وقد " طبع كتاب النقائض أول مرة بمطبعة (بريل) في مدينة (ليدن) بهولندا بين سنتي 1908 - و1912 م، وقام بالاعتناء بهذه الطبعة المستشرق البريطاني (أنتوني أشلي بيفان) Anthony Ashely Bevan و يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء⁽¹⁾.

جسدت النقائض كل ما سار عليه الفحلان جرير والفرزدق في هجائهما وما حمله من صور هجائية مثلت نوعاً من العمل الفني المحترف الذي لا يثير الخصومات، فشغلت الزمن الذي عاشا فيه، والعصور التي أعقبته. وقد أصبح لهما جمهور يتشوق وينظر متلهفين لسماع ما يقولانه في بعضهما من هجاء تولد من خلاله معانٍ وصور فنية جديدة أخذت تعطي لهما من الشعر ألواناً كما أعطت غنىً شعرياً في تفجير طاقات فنية حولت الهجاء، وما فيه من سب في الأنساب وشتم في الأعراض إلى نوع من أنواع التسلية و النكتة والترويح في مريد البصرة.

تتناول هذه الدراسة صورة الفرزدق في شعر جرير بالدرس والتحليل، لبيان الصورة الفنية وتأصيلها، وما يتولد منها من معانٍ وصور. جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، تناول التمهيد العلاقة بين الشعارين، ومصادر الصور وتأصيل دلالاتها. فقد كان الشعاران على صحبة وتوادٍ يجتمعان في مجالس الأمراء، ويترافقان في السفر، وردف أحدهما الآخر على ظهر ناقية واحدة، ودافع أحدهما عن الآخر عند الأمراء، فكلا الشعارين يكنُّ لصاحبه تقديراً ومودة.

(1) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق محمد إبراهيم حور، ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية، 1998، ط2، ج 1، ص7

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على صورة الفرزدق في شعر جرير التي حفلت بها نقائض جرير وأشعاره ولا أعلم دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع في بحث مختص؛ بل ركزت الدراسات السابقة جميعها على استعراض النقائض بين الشعارين وبقية الشعراء المناصرين لكل منهما، وتفضيل أحدهما على الآخر، ومن هذه المؤلفات والدراسات:

- ما ورد في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي ركز على ذكر نسب كل من الشعارين واختلاف الناس حول شاعرية كل منهما، وتفضيل أحدهما على الآخر

- طبقات فحول الشعراء، وتصنيفه للشاعرين في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام واستعراض أبيات من نقائضهما، والمميزات الفنية لكل منهما.

- دراسة محمد غناوي الزهيري الموسومة بـ(نقائض جرير والفرزدق دراسة أدبية تاريخية)الصادرة عام 1954،دراسة شوقي ضيف الموسومة بـ(العصر الإسلامي) دراسة شاكر الفحام الصادرة عام 1977، الموسومة بـ(الفرزدق)، إلا أن هذه الدراسات تختلف عن هذه الدراسة من حيث المضمون والنتائج، إضافة إلى ذلك أن هذه الدراسة سدت الثلمة وما اعتور الدراسات السابقة من نقص.

أما المنهج الذي قامت عليه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي إذ استنطق خلاله النص الشعري، وحللت الأبيات الشعرية تحليلاً موسعاً.

تكونت الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول

الفصل الأول: صورة الفرزدق الأخلاقية في شعر جرير:

استغل جرير ما كان معروفاً عن الفرزدق من فجور وفسق وفقدان العفة، وهي صور كثيرة ومتنوعة، منها: صورة الفرزدق زانياً، وصورته شارباً للخمر، وصورته لثيماً، وصورته فاجراً فاسقاً، وصورته رجساً عديم الطهارة. وكل معنى من هذه المعاني السابقة يشكل صورة عامة تتولد منها معانٍ وصور جديدة تؤكد أصالة جرير وقدرته الفنية.

تتاول الفصل الثاني: صورة الفرزدق الشكلية في شعر جرير:

فقد كان يتعقب خصمه في كل موقف محاولاً إيقاع ما يمكن إيقاعه من الهجاء للخصم معتمداً على الصورة الحسية المستمدة من واقعه المشاهد والمعقول راسماً له أخزى الصور منها: الصورة الحيوانية، وصورة الفريسة، وصورته قيناً، وصورته شقي ثمود، وصورته ذليلاً.

تناول الفصل الثالث: صورة قبيلة الفرزدق وأهله في شعر جرير:

فقد هجاهما بصور هجائية مختلفة عني بدراسة الصورة القبليّة والآثار المترتبة على دراسة هذه الصورة في شعره فمن هذه الصور: الصورة الحيوانية، وصور النباتات، وصورة اللؤماء، وصورة ضعفاء القلوب.

ووضّح الفصل نفسه صورة أهل الفرزدق، ومن تلك الصور شكوك جرير في نسب غالب والد الفرزدق، وتعرضه بالهجاء الفاحش لأم الفرزدق وأخته جعثن وزوجه النوار.

وأخيراً أسأل الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، فإن أصبت فانه الموفق وله الحمد و إن أخطأت فعذري أنني اجتهدت فحسبي أجر المجتهد المخطئ.

التمهيد:

العلاقة بين الشعاعين:

شغلت العلاقة بين جرير والفرزدق حيزاً واسعاً في الشعر الأموي، فكان لها أثرٌ كبير في تطويره وتجديده فقد عاشا في القرن الأول، وعقداً من القرن الثاني للهجرة في مدينة البصرة. وعُداً من أشهر شعراء العصر الأموي، قامت معركة شعرية بينهما أسفرت عما يسمى بفن "النقائض"⁽¹⁾ وهو لون من ألوان الهجاء⁽²⁾.

ومن أراد فهم هذه العلاقة والحكم لها، أو عليها وجب عليه التتبع والاستقراء لهذا الفن فن النقائض فهو بمنزلة الوثيقة، والفيصل في الحكم على طبيعة علاقتهما الجيدة من عدمها. وقد عدّ النقاد هذا الفن "فنّاً معقداً لم يستطع الشعراء العاديون أن يحسنوه؛ لأن من يحسنه يحتاج إلى عقليّة ممتازة، قد تفقت الطرائق الحديثة في الحوار والجدل، ولها القدرة على المزج بين القديم والجديد، مما يؤهلها للقيام بهذا العمل الفني"⁽³⁾. ولهذا أصبحا من أبطال هذا الفن واحترافهم به وبأدق تفاصيله.

كما يرى بعض الرواة لشعر النقائض أن حديّة هذا الشعر نابعة أصلاً من حديّة الشعراء، وجدّتهم في المنافسة للفوز، وتأكيد للتميز والتفاضل مهما طال زمن التناشد والتناقض بينهم⁽⁴⁾.

والراجح أن جريراً والفرزدق من أشهر شعراء عصرهما؛ لأنهما أبدعا في هذا الفن الشعري الذي نتج عنه معارك هجائية ممتعة لم تكن

(1) اسم اخترعه أبو عبيدة عامر بن المثنى التميمي (ت206 هـ) لقصائد الهجاء المتبادلة بين جرير وغيره من الشعراء وبخاصة الفرزدق.

(2) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 1، ص 1.

(3) ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، د.ت، ط8، ص194.

(4) عطوي، رفيق، فن الشعر في العصر الأموي دراسة تحليلية، الأكاديمية اللبنانية للكتاب، بيروت لبنان، 2003م، ط1، ص 131.

معارك صارمة، وإنما معارك يراد بها اللهو والتسلية"⁽¹⁾ وكان خير وسيلة تحقق لهم ذلك " وجود سوق المربد يلتقون فيه، ويتبارون ويتناظرون، كل بما يعن له ويعتقده، أو يتطلع عليه. هذا السوق الذي عاد بهم إلى سوق عكاظ في الجاهلية. ومثل ماكان للشعر والشعراء القَدح المعلى بعكاظ كان المربد كذلك"⁽²⁾

كما يرجع سبب وقوع الهجاء المقذع بين هذين الفحلين إنها قد "نشأ في البادية وتشبثا بالحياة الجاهلية الطليقة، ونفرت طبائعهما إلى حد ما من تقاليد الدين وقيود المدينة، فغلبت عليهما نزعات قبلية كان لها آثارها في سلوكهم الخاص، وفي مذاهبهم الفنية"⁽³⁾.

لقد اهتم بدراسة هذه الحرب الهجائية، الماثلة في فن النقائض الكثير من مؤرخي الأدب ونقاده في القديم والحديث وذلك "مما جاء في أشعار شعراء الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين، ثم ما في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لم يقع مثلهما للقدماء"⁽⁴⁾. ومن النقاد القدماء، الناقد الفحل الأصمعي ذلك الذي لم يترك شاعراً جاهلياً، أو مخضراً أو إسلامياً إلا وأبدى رأيه فيه بصراحة ففي ذكره لجرير والفرزدق والأخطل قال عنهم: "إن هؤلاء لو كانوا في الجاهلية، كان لهم شأنٌ ولا أقول فهم شيئاً لأنهم إسلاميون"⁽⁵⁾. وروى الأصمعي أيضاً أن

(1) ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص179.

(2) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص2

(3) انظر: عتيق، عبد العزيز، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2001م، ط1، ص269.

(4) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقران، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1988، ط1، ص970.

(5) الأصمعي، فحولة الشعراء، تحقيق ش. توري، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، 1981، ط2، ص12.

الفرزدق قال لامرأته وكان اسمها النوار: كيف شعري من شعر جرير،
فقلت شركك في حلوه، وغلبك على مره⁽¹⁾.

ذكرهما صاحب البيان والتبيين قال: قال أبو عبيدة: "هم الذين هجوا
فوضعوا من قدر من هجوه، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه، وهجاهم
قومٌ فردوا عليهم فأفحموهم، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض
لهم، وسكتوا عن من هجاهم رغبةً بأنفسهم من الرد عليهم، وهم إسلاميون:
جرير والفرزدق والأخطل⁽²⁾.

ولعل ما ينبغي أن يفهم، ليست الشهرة بالهجاء مما تيسر لكل شاعر
يسب ويفحش، فلو كان هذا لغلب الهجاء على كل شاعر، ولكن الموهبة الفنية
وسلاطة اللسان والقدرة على الإبداع في خلق الصور والتقنن في رسمها كل
هذا ساعد أن يكونا أهلاً للهجاء أو هي الصفات جميعاً التي ذكرهما بها
صاحب البيان والتبيين في قول أبي عبيدة السابق.

ومن غريب الملاحظة في هذين الشاعرين المتهاجين، نجد رغم
تتافرها، كانا يأنفان أن يدخل بينهما من ليس كفواً ومن أمثلة ذلك، عندما
احتدم الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ التيمي، لقي الفرزدق عمر بن عطية
أخا جرير فقال له: ويلك! قل لأخيك: " تكلتك أمك! أيأتي التيمي من علٍ
كما أصنع أنا بك"⁽³⁾

وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمي أن يتعلق به التيمي. كما نجد جريراً قد
هجاه بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجبه، قال بشار: ولم أهجه لأغلبه ولكن ليحييني

(1) الأصمعي، فحولة الشعراء، ص20.

(2) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255هـ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد
هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1985، ط5، ج4 ص 83.

(3) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (356هـ)، الأغاني، تحقيق دار إحياء التراث
العربي، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت، ج8، ص279.

فأكون من طبقته، ولو هجاني لكنت أشعر الناس. والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجاه فيه فتهاون بأمره استحقاراً⁽¹⁾

فربما سكتوا عنهم إطراحاً واحتقاراً ووجدوا أن هؤلاء الشعراء ليسوا من أندادهم ولا من طبقتهم وغير أكفاء. وكأنهم وجدوا في فن الهجاء مبتغاهم وتعالوا فيه على أقرانهم، وعدوه فنهم الجديد المائل في النقائض لا يدخل حلبته إلا من كان شاعراً مقلداً لا يشق له غبار أمثال جرير والفرزدق. وقد "أجمع علماء الشعر على أن جريراً والفرزدق والأخطل مقدمون على شعراء الإسلام جميعهم، واختلفوا في أيهم أفضل، وقد ذكر صاحب الخزانة ما جاء من حكم بين الثلاثة: فحكم للفرزدق بالفخار، وللأخطل بالمديح، ولجرير في فنون الشعر جميعاً"⁽²⁾. "هذا ما أوجدته ألوان الثقافة العامة عند العرب في عصر بني أمية طبقة مستتيرة ترتفع بمستواها الفكري عن سواد الناس. ولعل نظرتها إليهم لم تكن تخلو من ترفع واستعلاء. وهذا التفوق الفكري كان يوجد ضرباً من التقارب بين أفراد هذه الطبقة المتقفة المستتيرة، ويؤلف بينهم على رغم تناحر أهوائهم واختلافها"⁽³⁾. "وخاصة قادة النقائض من الشعراء الفحول، إذ أصبحت النقائض تمثل أرقى درجة وصل إليها الشعر العربي المحافظ من الناحية الفنية؛ لما أصابها من التجويد والتهذيب في معانيها وألفاظها؛ وصورها وأساليبها تحت تأثير المنافسة والتحدي"⁽⁴⁾.

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، ص 110

(2) البغدادي، عبد القادر بن عمر (1093 هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق

عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979، ط2، ج1، ص 76

(3) النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، القاهرة،

د.ت، د.ط، ص 395.

(4) الشايب، أحمد، تأريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، 1954، ط2،

ص 393.

والحق أن نقائص جرير والفرزدق لم تكن صراعاً عدائياً كما ظن بعض الرواة، ففي كل مكان نجد نصوصاً تشهد بأنهما كانا متعاطفين متوادين، ومن آيات هذا التعاطف سعي جرير في استنقاذ الفرزدق من سجنه حين حبسه صاحب الشرطة⁽¹⁾.

ومن ذلك عند سؤال أحدهما عن شعر صاحبه، ورأيه فيه، فإنه يجيب بما هو مقتنع فيه، ويكون منصفاً، لذلك نجد الفرزدق عندما سُئل عن شعر جرير أنصفه قائلاً: "إني وإياه يعني جريراً لنغترف من بحر واحد"⁽²⁾

فإعجاب الفرزدق بشعر جرير وإطراؤه له واستحسانه لبعض قصائده واعترافه بأنهما متساويان يؤكد لنا طيب العلاقة بينهما، إذ نجده يبدي رأيه بصاحبه وفق ما يسمع من جرير لا وفق خصومته معه وعدائه له. هذا هو الحس الفني المرهف الذي يتميز به الشعراء أمثال جرير والفرزدق. كذلك قيل لجرير: كيف شعرُ الفرزدق؟ قال: كذب من زعم أنه أشعر من الفرزدق. وقيل كيف شعرُك؟ قال: أنا مدينة الشعر⁽³⁾.

فعلاقة جرير بالفرزدق تعد علاقة فنية أخذت تعطي لهما من الشعر ألواناً، كما أعطت ثراءً شعرياً في تفجير طاقات فنية حولت الهجاء الخالص إلى نوع من أنواع التسلية والترويح في البصرة⁽⁴⁾. "وعليه جاءت نقائضهما بمظهرٍ من مظاهر النضج والرقى في المجتمع إذ وصل إلى درجة من الرقي جعلته يميز بين الجد والهزل، فلو قيلت قصيدة واحدة من هذه القصائد في العصر الجاهلي لكانت كفيلاً بإشعال حربٍ تأكل الأخضر

(1) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج21، ص249.

(2) الجمحي، محمد بن سلام، (ت 139هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، د.ط، ج2، ص377.

(3) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب (ت 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، د.ط، ج1، ص100.

(4) عطوي، فن الشعر في العصر الأموي (دراسة تحليلية)، ص120.

واليابس أما في هذا العصر فكانت تؤخذ في بعض جوانبها على محمل التندر والتفكه⁽¹⁾.

والنقائص في واقعها "شعر بدوي لا يتذوقه القارئ المعاصر في سهولة ويسر لأنه لا يترك في نفسه صدى، ولم يقصد به أصحابه أن يخاطبه، وإنما خاطبوا به قومهم، ممن هم على شاكرتهم في البداوة، وعلى طريقتهم في الحس والذوق. فالقارئ لا يستطيع أن يحس جماله، إلا بعد أن يقاسي كثيراً من الملل والسأم، و تضيق به نفسه في أول الأمر، حتى إذا أوغل في القراءة، ومضى في الدراسة، غمره جو هذا الشعر، ونقله إلى قلب البادية، وإلى صميم هذه الحياة البدائية الخشنة. وعند ذلك فقط، يستطيع أن يتذوق شعرهم. فهو لا يتذوقه إلا بعد أن يتعرف إلى أصحابه ويصحبهم صحبة طويلة، تخلق في نفسه شيئاً من الإلف لهذه الحياة، ولهؤلاء الشعراء"⁽²⁾.

وبهذا أصبحت نقائضهما وما تحمله من صور هجائية "فناً شعرياً طريفاً؛ لأن الناظر في أمر هذه الصور الفاحشة يدرك أن المتناقضين، ومن يتلقون شعرهم لم يكونوا يأخذون الأمر في مأخذ الجد، وإلا لكان أقل قليلاً كافياً لإراقة الدماء، بل كان الأمر وكأنه "مباراة شعبية" في الفكاهة والسخرية"⁽³⁾.

فانظر إلى المقطع الآتي من قصيدة شعرية تراها وكأنها مسرحية من المسرحيات، أبطالها جرير والفرزدق، وهي قد تقال تحت منظر ومسمع رهطهما، وعامة الناس وما تحمله من إساءة للمخاطب بما فيها من لؤم وقذف وشتم وعبودية ومذلة، فنجد جريراً يصف الفرزدق باللؤم البين على

(1) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص3

(2) حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ص 157، 158.

(3) انظر: القط، عبد القادر، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979م، ط1، ص 352.

صفحة خده، ويصف أباه بحوق الحمار، وأمه بأنها فاقدة العفة، وأجداده بأنهم كانوا أرقاء عبيداً، لكنها لا تدعو إلى قتال ولا تثير وجدانا رغم ما تحتويه على أمور تلهب النفوس.

يقول جرير: (1)

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمُهُ حَيْثُ التَّقْتُ حُشْشَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ (2)
حُوقُ الْحِمَارِ أَبُوكَ فَاغْلَمَ عِلْمَهُ وَنَفَاكَ صَعَصَعَةُ الدَّعِيِّ الْمُسْبَعُ (3)
وَزَعَمْتَ أُمَّكُمْ حَصَانًا حُرَّةً كَذِبًا قَفِيرَةً أُمَّكُمْ وَالْقَوْبَعُ (4)
وَبَنُو قَفِيرَةٍ قَدْ أَجَابُوا نَهْشَلًا بِاسْمِ الْعُبُودَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَصَعَّعُوا

وينبغي أن يفهم من الأبيات السابقة إنها مثلت حساً مسرحياً، لم تُثر غيض الشخص الموجه إليه الكلام وقومه؛ لأنهم يعلمون أنها مسرحيات ويعلمون هدفها، فقد قيلت أمام الناس، بل شارك بعضهم بعضاً الضحك والقهقهة. ولو أخذ هذا الهجاء على محمل الجد، لحدثت معركة غيرت مجرى تاريخ بني تميم وهذا ما لم يذكر في بطون الكتب.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النقائص في العصر الأموي" تخالف موروث الجاهلية، فالشعراء في جاهليتهم يعبرون عن وقائع قائمة، ومعارك تراق فيها الدماء، ويتنازعون نزاعاً هم فيه ألسنة قبائلهم، يتحدثون عن نوازعها في الانتقام، والتشفي والثأر. أما نقائص جرير والفرزدق فكانت مفاخرة ومهاجاة لا تبلغ أن تثير الأحقاد، وتؤجج الإضغان؛ لأنها لم تكن تلبية لحروب ووقائع، بل هي مهادة ومغالبة تروم أن تنزع الإعجاب، وتظفر

(1) حاوي، إيليا، شرح ديوان جرير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ط1، ص425.

(2) الحششاء: الغظم الناتئ وراء الأذن . الأخدع: عرق في صفحت العنق يحتجم به صاحبه.
(3) حوق الحمار: تُقال لكل رجل مُقَعَّر الصدر. الداعي: اللقيط الذي يلحق بمن دونه. المُسْبَع: المُهمل المتروك.

(4) القوبع: قلنسوة تلبسها العجائز، وهي من خوص.

بالتفوق، وتسكت الخصم وتبكته، وقد تمضي في الإثارة والتهيج لكنها أبداً،
تؤثر الانتصار الفني"⁽¹⁾.

ولعل ما يؤيد طيب العلاقة بين جرير والفرزدق كانت حميمة وجيدة،
أنهما كانا على صحبة وتوادٍ يجتمعان في مجالس الأمراء، ويترافقان في
السفر، وردف أحدهما الآخر على ظهر ناقه واحدة، ودافع أحدهما عن
الآخر عند الأمراء، فكلا الشاعرين يكن لصاحبه تقديراً ومودة، كما اهتم
بهم الحكام والفقهاء والشعراء وعامة الناس وكل أدلى دلوه، وأعطى رأيه
وحكمه في شعرهما، ومدى التفوق فيه ومن تلك الصحبة التواد.

"سمر الفرزدق وجرير والأخطل عند عبد الملك بن مروان ليله فبينما هم
حوله إذ خَفَقَ فقالوا: نعس أمير المؤمنين ! فهموا بالقيام، فقال لهم سليمان: لا
تقوموا حتى تقولوا في هذا شعراً.
فقال الأخطل:

رماء الكرى في رأسه فكأنه صريعٌ تروى بين أصحابه خمرا
فقال له ويحك! سكران جعلتني!

ثم قال جرير بن الخطفي:

رماء الكرى في رأسه فكأنما يرى في سواد الليل قنبرة حمرا
فقال له ويحك! أجعلتني أعمى!

ثم قال الفرزدق بعد هذا:

رماء الكرى في رأسه فكأنما أميمٌ جلا ميد تركز به وقرا
قال له ويحك! جعلتني مشجوجاً، ثم أذن لهم فانقلبوا فحباهم وأعطاهم"⁽²⁾.

ونلمح أثر ذلك أيضاً في أن كلا الشاعرين كان يعد صاحبه قريناً له،
تربطه وإياه صلة فنية قوية، و يعلم كلاهما ما يدور في ذهن صاحبه من
توارد للأفكار ولعل سبب ذلك هو تأثير البيئة البدوية بشكل كبير على

(1) انظر: الفحام، شاكِر، الفرزدق، دار الفكر، دمشق، 1977، د.ط، ص 291.

(2) الأندلسي، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
لبنان، 1989م، ط 1، ج 5، ص 346.

حياتهما وشعرهما، فحياة البدو وتقاليدهم وعاداتهم هي الملهم لهما. فأصبح مصدر غذاء ثقافتها واحداً هو حياة البداوة هذا ما أعطى لهما خصوصية شعرية مميزة هي معرفة أحدهما شعر صاحبه قبل أن يسمعه منه.

ومن ذلك ما حكى أبو عبيدة إذ قال: "خرج جرير والفرزدق مترادفين على ناقة إلى هشام بن عبد الملك فنزل جرير لقضاء حاجته فجعلت الناقة تتأفت فضربها الفرزدق وقال⁽¹⁾

إِلَامٌ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلَّهُمْ أَمَامِي
مَتَى تَأْتِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي⁽²⁾

ثم قال:

الآن يجيئني جرير فأنشده البيتين فيقول⁽³⁾

تَلَفَّتُ وَهِيَ تَحْتَكِ يَا ابْنَ قَيْنٍ إِلَى الْكَيْرَيْنِ وَالْفَاسِ الْكَهَامِ⁽⁴⁾
مَتَى تَأْتِ الرُّصَافَةَ تَخْزِ فِيهَا كَخَزِيكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ⁽⁵⁾

قال فجاء جرير، والفرزدق يضحك، فقال: ما يضحكك يا أبا فراس؟ فأنشده البيتين الأولين، فأنشده جرير البيتين الآخرين، فقال الفرزدق والله قد قلت هذا، فقال جرير: أما علمت أن شيطاننا واحد⁽⁶⁾.

وروى أبو عبيدة: "أن راكباً جاء من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس فقال له: من أين أقبلت؟ قال من اليمامة. فقال: هل أحدث ابن المراغة يعني جريراً بعدي شيئاً؟

(1) حاوي، إيليا، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1983، ط1، ج2، ص533.

(2) الذُّبْرُ جمع دبرة: جرح يحدث في متن البعير.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص601

(4) الكهام: النابية

(5) المواسم: الأسواق كما كانت تقام في المرید.

(6) بن خلکان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681 هـ) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، ج1، دت، ص322، 323.

قال: نعم! قال: هات فأنشد قائلاً⁽¹⁾

هَاجَ الْهَوَى بِفُؤَادِكَ الْمُهْتَاجِ

فقال الفرزدق:

فَانظُرْ بِتَوْضِيحِ بَاكِرِ الْأَحْدَاجِ⁽²⁾

فأنشد الرجل:

هَذَا هَوَى شَغَفَ الْفُؤَادِ مَبْرَحٍ⁽³⁾

فقال الفرزدق:

وَنَوَى تَقَازِفَ غَيْرِ ذَاتِ خِدَاجٍ⁽⁴⁾

فأنشد الرجل:

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهَتْ لِمَوْلَعٍ

فقال الفرزدق:

بِنَوَى الْأَحْيَةِ دَائِمِ التَّشْحَاجِ⁽⁵⁾

فقال الرجل: هكذا والله، أسمعته من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أو ما علمت أن شيطاننا واحد⁽⁶⁾

ويفهم مما تقدم أن شعوراً تضامنياً قوياً كان بين جرير والفرزدق، وأن اعتزازهما بنفسيهما وافتخارهما بشعريهما، عامل طبيعي في الغريزة البشرية. وبما أن النقائص لون من ألوان الهجاء - الذي وظّف اجتماعياً في خدمة المجتمع الأموي، ولم يقتصر هذا الفن على تسلية العامة من الناس فقط؛ بل شمل اللهو والتسلية الأمراء والحكام . ولعل هذا مانراه واضحاً، إذ نظرنا إلى قصة "الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عهد الخليفة

(1) حاوي، شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص203.

(2) باكر الأحداج: الطعائن..

(3) شغف: تيم. المبرح: الشديد. النوى:

(4) النوى: الفراق. تقاذف: تباعد. الخداج: النقصان.

(5) التشحاج: النعيق والنعيب.

(6) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص37.

عبد الملك بن مروان¹ الذي أمر جريراً والفرزدق أن يأتيا بلباس آبائهما في الجاهلية، فيلبس الفرزدق الديباج والخز، ويجلس في قبة، ويأتي جرير لابساً درعاً منقلداً سيفاً، حاملاً رمحاً، يركب فرساً وحوله أربعون فارساً، من بني يربوع، بعد أن شاور جرير ذُهاة قومه ماذا يلبس فأشاروا عليه بذلك⁽²⁾. وتبدأ السخرية فيقول جرير⁽³⁾:

لَبَسْتُ أَدَاتِي وَالْفَرَزْدَقُ لُعْبَةً عَلَيْهِ وَشَاخَا كُرَجٍ وَجَلَّجَةً⁽⁴⁾
أَعَدُّوا مَعَ الْحَلِيِّ الْمَلَابَ فَإِنَّمَا جَرِيرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وَأَنْتُمْ حَلَائِلُهُ⁽⁵⁾

فالرواية الأنفة الذكر تدل على أن إثارة العصبية لم تكن هدف الحجاج الذي ساعد وساند على النقائص والتهاجي بينهم كلا، إنما لأنه أراد أن ينلهم ويقضي بعض الأوقات بنشوة، ويشارك الناس اللهو والتسلية.

والحق أن نقائص جرير والفرزدق لم تكن إلا مناظرات أدبية احتفظ بها الشعر العربي. و كان يراد بها اللهو والتسلية وأن تملاً أوقات الناس في البصرة، ومن ثم لم يثر سبابها حفيظةً بين القبائل⁽⁶⁾

ولعل مما يُرى أن الهجاء قد تطور في عصر بني أمية وجاوز المعقول والممكن، في سبيل بلوغ الغاية فأصبح غايته المغالبة الفنية والانتصار في القول، وغاية اجتماعية هي لهو الجماعة وتسليتها وفي ذلك فإن شعراء العصر الأموي قدّموا في ما وسعهم من أجل إسعاد المجتمع، وتسليته، وتحقيق الشهرة الفنية متعددين في ذلك القوانين المفروضة جميعها في ذلك العصر. وهذا ما يلفت نظرنا، ويذكرنا بتلك الشهرة الواسعة التي حققتها الرواية العربية في العصر الحديث، وتلك الشهرة التي يحظى بها

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص 29.

(2) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص 406.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص579.

(4) كرج: لعبة. جلاجلة: أجراس صغيرة

(5) الملاب: ضرب من العطر. الحليلة: الزوجة.

(6) ضيف، التطور والتجديد في العصر الأموي، ص 184.

الروائيون العرب بين متذوقي الأدب من القراء في العالم العربي، ولا نستغرب فهناك روايات حديثة تصور لنا المدينة، وكأنها ماخور كبير تكثر فيه البغاة، ويكثر فيه الشذوذ بأنواعه، والخمور والمخدرات. فلا نستغرب بعدها الاحتفاء العربي بها ونشرها إلى أكثر من لغة.

إن جريراً والفرزدق هما شاعرا الهجاء في العصر الأموي يقر لهما بالتفوق والإعجاب عامة الدهماء، ولم يقتصر شعرهما على الفخر والمديح والهجاء، بل راحت قصائدهما تمثل صوت الإعلام الحربي حرة وديمقراطية في حمل رسالة سامية تكشف الظلم في دولة بني أمية، بما يجري فيها من مظالم مهلكة للناس. فقاما بتصوير الحالة المزريّة، والفقير المدقع الذي يتعرض له الناس ومفاسد العمال وخاصة السعاة الذين يجمعون الصدقات فهم لا يرضون بالشاة أو البعير، وإنما يريدون الأموال عيناً.

فهذا الفرزدق مستصرخاً شاكياً مفاسد العمال للوليد بن عبد الملك والمعاملة، والمظالم التي يسلكها عمال الحكومة مع الرعايا⁽¹⁾.

رَجَاكَ الْمَشْرِقَانِ لِكُلِّ عَانٍ وَأَرْمَلَةٌ وَأَصْحَابُ التَّغُورِ⁽²⁾
وَكُنْتَ جَعَلْتَ لِلْعُمَالِ عَهْدًا وَفِيهِ الْعَاصِمَاتُ مِنَ الْفُجُورِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفِي بَعْدَلٍ يَدِيكَ أَدْوَاءَ الصِّدُورِ
فَكَيْفَ بِعَامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا يُكَلِّفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ⁽³⁾
وَأَنْتَى بِالدَّرَاهِمِ وَهِيَ مِنَّا كَرَأْفِعِ رَاحَتِيهِ إِلَى الْعُبُورِ⁽⁴⁾
إِذَا سُقْنَا الْفَرَائِضَ لَمْ يُرِدْهَا وَصَدَّ عَنِ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

أما جريير فلديه إحساس مثل صاحبه الفرزدق، فالشعور واحد والقضية واحدة فتجده سائلاً داعياً شاكياً، في قصيدته التي قالها في سليمان

(1) حاوي، شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص468، 469.

(2) العاني: الذي أصابته الهموم

(3) البدور: مطلع الأهلة.

(4) العبور: كوكب يطلع في الجوزاء، ومثله الشعري.

بن عبد الملك الذي اعتلى عرش بني أمية عام 96هـ. عن حال اليتامى والأرامل يقول⁽¹⁾:

أَلَا هَلْ لِلخَافِةِ فِي نِزَارٍ فَقَدْ أَمَسُوا وَأَكْثَرُهُمْ كُؤُولٌ⁽²⁾
وَتَدْعُوكَ الأَرَامِلُ وَالْيَتَامَى وَمَنْ أَمَسَى وَلَيْسَ بِهِ حُوَيْلٌ⁽³⁾
وَتَشْكُوا المَاشِيَاتُ إِلَيْكَ جَهْدًا وَلَا صَعْبٌ لَهْنٌ وَلَا ذُلُولٌ⁽⁴⁾
وَأَكْثَرُ زَادِهِنَّ، وَهِنَّ سُفْعٌ حُطَامُ الجِدِّ والعَصَبُ المَلِيلُ⁽⁵⁾
وَيَدْعُوكَ المَكْلَفُ بَعْدَ جَهْدٍ وَعَانَ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ الكُبُولُ⁽⁵⁾

من خلال ما تقدم يمكن القول: إن قصائدهما بما فيها من قدرة أدبية ومواهب فنية، جاءت تصويراً مثلت صوت الحرية المدافع عن حقوق الناس، والحامل همومهم والمتألم بها. وما يشعرون به من سوء وضع الحياة الاقتصادية، والشكوى من الضيق في عيشتهم وشدة عوزهم. وقد أبدعا في وصف ما أثرته هذه الشكوى، وما تركته من أسى وإحساس بالظلم في نفسيهما، جروح وآثار في قلوبهما، ولا سيما أن الشكوى "مَذْهَبٌ يَجُولُ فِيهِ القَوْلُ كُلُّ مَجَالٍ، وَيُنْثَالُ عَلَيْهِ الكَلَامُ أَيَّ انْتِثَالٍ، وَتَتَأْتَى بِهِ الأَلْفَاظُ لَازِدِوَجْهًا، وَتَتَرَاءَى المَعَانِي فِي مَعْرُضِ انْتِجَاهَا"⁽⁶⁾ إذن فجرير والفرزدق هما: صوت الشعب، أي بمنزلة السلطة الرابعة.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 523.

(2) الكلول: المرضى المتعبون.

(3) الحويل: الحيلة.

(4) الماشيات: النساء الأرامل. الصعب، والذلول: المطايا العسيرة والطبيعة. يقول طلبن رفته سائرات على الأقدام.

(5) المكلف: من عليه مال يؤديه. العاني: الأسير. الكبول: القيود.

(6) الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1981، ط1، ج5، ص 255.

وهذا هو حال شعراء الأمة العربية متوحدون أمام الأزمات والمصاعب، متنافسون فنياً في روم أعلى المراتب في الشعر العربي. وهذا ما كان بين الشعارين: جرير والفرزدق.

" بدأت النقائض بين جرير والفرزدق في حدود عام 66 هـ وبقيت بينهما زهاء ثمانية وأربعين عاماً، استمر الهجاء بينهما حتى أسكتهما الموت عام 114 هـ ، كانا أعلم الناس بعيوب الناس، وكانا يتباريان في أشعارهما، فإذا قال أحدهما بيتاً سائراً، قال هذا مثله، لم يغلب أحد منهما صاحبه، ولم يتهاج شاعران في الجاهلية والإسلام بمثل ما تهاجيا به (1). وبما أن الهجاء بينهما دام أكثر من أربعين عاماً ولم يحصل أي تقابل بينهما، هذا أن دل على شيء إنما يدل على أنهما كانا على علم ودراية بأن ما يقال بينهما، غاية فنية مفادها الشهرة واللهو والتسلية.

ولعل ما شجع على نشوء فن النقائض يرجع إلى عاملين جوهريين حركا قريحة كلا الشعارين في التهاجي والتفاخر بينهما في قول الشعر هما:

أولاً: العامل القبلي:

إن للقبيلة أثراً واضحاً في إضرار نار المهاجاة بين الشعارين، فقد حثت قبيلة يربوع شاعرها على الرحيل وأثارت غيظه على صاحبه، فقد كان جرير مقيماً بالمرّوت من البادية، والفرزدق بالعراق وهما يتهاجيان، فأرسلت إلى جرير، إنك مقيم بالمرّوت ليس عندك أحد يروي عنك، والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع حجج. فانحدر إلى العراق قاصداً "المربد لمهاجاة الفرزدق وجهاً لوجه" فأقام في البصرة (2). وفي ذلك يقول: (3)

لَمَّا وَلِيْتَ لِنُغْرٍ قَوْمِي مَشْهُدًا آثَرْتُ ذَاكَ عَلَى بَنِي وَمَالِي

(1) الفحام، الفرزدق، ص 285.

(2) الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ت (279 هـ) الشعر والشعراء، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985، ط2، ص306

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص560.

يقول إنه يدافع بشعره عن قومه ويؤثره على نويه.

أما الفرزدق فليس عن قصة صاحبه ببعيد " كان الفرزدق قد حج هو وامرأته النوار بنت أعين، فتعلق بأستار الكعبة، تائباً إلى الله، معاهداً إياه بين الباب والمقام، على ألا يهجو أحداً بعد هذا أبداً، ثم عاد إلى البصرة، وقيّد نفسه وحلف ألا يفكّ هذا القيد حتى يحفظ القرآن، فلما بلغ نساء بني مجاشع فحش جرير بهنّ، أتى الفرزدق مقيداً فقلن: قبح الله قيّدك فقد هتك جرير عورات نسائك فلا حُييت شاعر قوم، فأحفظنه، ففض قيده وانتفض" (1)
قائلاً (2):

ألا استهزأت مني هنيئدة أن رأته أسيراً يُداني خطوه حلق الحجل (3)
فأطلق لسانه ناسياً عهوده أمام الله فربما أصبح الواجب القبلي عنده أهم من واجب الدين، ليس رغبةً فيه، ولكن تلبيةً لرغبة قومه. ولعل الفرزدق كان يشعر بأنه سيهجو جريراً رغم العلاقة الطيبة بينهما وذلك مما جاء "عن أم زيداء بنت جرير، قالت: مرّ بنا الفرزدق حاجّاً، وهو معادل النوار بنت أعين امرأته حتى نزل بلُغاط ونحن بها فأهدى له جرير ثم أنشده والنوار خلفه في فسّيط صغير فقالت: قاتله الله ما أرق منسبته، وأشد هجاءه، فقال الفرزدق لها: أترين هذا؟ أما إنني لن أموت حتّى ابتلي بمُهاجاته" (4)

يلاحظ أن الفرزدق كان يسمي الهجاء بينه وبين صاحبه بالابتلاء ولعل ذلك يعود إلى رغبة قوم الفرزدق في هذا الالتحام الهجائي أقوى من رغبته في الابتعاد عن هجاء جرير.

(1) أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص297

(2) حاوي، شرح ديوان الفرزدق، ج2، ص314.

(3) هنيئة امرأة الزبير بن بدر عمه الفرزدق. انظر: أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص297. الحجل: القيد.

(4) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص296..

فهجا الفرزدق جريراً واحتدم الهجاء بينهما في العصر الأموي عن طريق النقائض التي ازدهرت بين الشعارين نتيجة اللقاء بينهما في البصرة. وعليه فقد لقت نقائض هذين الشعارين صدًى وقبولاً وعناية من القبائل والحكام والولاة والأدباء، وحفظها وتمثّل بها جمهرة كبيرة من النساء والرجال، وصار الناس يلهون بها، ويستمعون إليها ويشجعون قائلها⁽¹⁾.
ثانياً: الجمهور أو المجتمع من الناس الذي يتحلق حولهما في سوق المربد في البصرة:

"دفعت معيشة العرب الجديدة بمدن العراق إلى اتخاذ فنٍ للتسلية، وقطع أوقات الفراغ، ولبّاهم الشعراء، أو لبّوا حاجتهم فاشتقوا لهم من الهجاء القديم فن النقائض وكان يتجمعون حول شعرائه في مربد البصرة للتصفيق والتهريج، وهم تارة يستحسنون وتارة يستهجنون"⁽²⁾.

يذكر إحسان النص: إن استمرار اتصال الأهاجي بين الشعارين يكمن في أن هذه المناقضات كانت سبيلاً لإذاعة شهرة الشعارين وطيران صيتهما في الأفاق. ووجدا أن الناس يقبلون على سماع نقائضهما إقبالاً عجيماً، ولا يكاد أحدهما يتهيأ لإنشاد نقيضة له في المربد حتى يتحلق الناس حوله، ويزدحمون لسماعها، ويستقبلونها بالتصفيق والتهليل، فإذا انفضّ الجميع انطلقوا يرددون أبيات القصيدة، ويتناقلونها في كل محفل، ويصدرون أحكامهم عليها، وهم بعد ذلك يترقبون نقيضتها بصبرٍ نافذ، كما يترقب الناس صدور الصحف في أيامنا، ويتشوقون إلى الوقوف على أحداث أنبائها. ومن هنا لم نجد جريراً والفرزدق يضيقان باستمرار التهاجي بينهما؛

(1) انظر: الجبوري، يحيى، الشعر الإسلامي والأموي دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 2005

م، ص 172

(2) ضيف، شوقي، الشعر وطوابعه الشعرية على مر العصور، دار المعارف، مصر،

ط2، ص247.

لأنه حقق لهما هذه الدعاية الأدبية الضخمة التي وضعتهما في طليعة فحول الشعراء⁽¹⁾.

وأتفق مع ماذهب إليه إحسان النص، وذلك لأن فكرة النقائض وجدت قبولاً واستحساناً ليس في سوق المربد فقط؛ بل من الناس جميعاً في العصر الأموي.

فمتلّت نقائضهما "جانباً من حياة القبائل الاجتماعية في العصر الأموي يقوم على المفاخرة والتهاجي، حتى اندفعت في تشفيها وتباهيها، غالبيةً مفرطة، فقد راح الشاعران يتتبعان في أهاجيهما المثالب، وينشران في مفاخرهما المآثر والمكارم، ويسبغان حلل المجد مستعينين على ذلك بعلمٍ محيط ومعرفة واسعة"⁽²⁾.

وقد انتقل فن الهجاء على يد جرير والفرزدق "نقلة كبرى، إذ انتقل من الصورة البسيطة التي كان عليها في العصر الجاهلي فأصبح فناً مكتمل النهج والأداة، لا تعوزه دلائل الصنعة، ولا تخفى فيه مظاهر التخصص، يستجمع له الشاعر ويحتشد، ويستعين عليه بكل مهاراته الفنية"⁽³⁾.

ومن هنا قد تفسر العداوة بينهما "أنها كانت أدنى إلى المنافسة الأدبية منها إلى الخصومة القبلية وكلاهما كان يحرص على إرضاء سامعيه والظفر بإعجابهم مصطنعاً في سبيل ذلك شتى أساليب الهجاء. ومن المؤكد أنهما لم يلجأا إلى الإفحاش في القول وذكر العورات والسوءات إلا لأنهما وجدا الناس يقبلون على هذا اللون من الهجاء ويهشون لسماعه"⁽⁴⁾. وربما هذا ما شجعهما على صدورهما للألفاظ بشكل عفوي.

وكل هذا لا يمكن فهمه إلا بأن الشاعرين قد غلبت عليهما على أمرهما بيئتهما العامة بما فيها من عادات وتقاليد وعقائد اجتماعية، وما فيها من

(1) انظر: النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص 480 – 481.

(2) الفرزدق ص 291.

(3) الشعر الأموي، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، 1991، ط1، ص 102 .

(4) النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص 481.

ظواهر سياسية واقتصادية وتيارات علمية وأدبية، ولهذا اضطر الشاعران إلى الاستجابة لها اضطراراً، فصوراها في نقائضهما. وليس أدل على ذلك من أنهما قد نسيا تحت ضغط البيئة العامة مشاعرهما الخاصة، أو شغلا عنهما بحيث أننا لا نجد في نقائض أحدهما وفي بقية شعره أيضاً ما يدل على أنه خلا إلى نفسه ففكر في مظاهر الكون، وفيما تثيره هذه المظاهر في نفسه من معاني الحسّن والقبح والخير والشر، أو شعور الإعجاب والسخط والحزن"⁽¹⁾.

كما يلاحظ أن الهجاء عند هذين الشاعرين قد "تحول إلى حرفة وصناعة فهم يبذلون غاية جهدهم في تجويد الصنعة، وإتقان الهجاء، ليظفروا برضى مستمعهم وإعجابهم، فالشاعر يصطنع شتى أساليب الهجاء التي يرضى عنها نوق جمهوره. فيلجأ إلى الصور الساخرة المضحكة تارة وإلى السباب البذيء الفاحش تارة أخرى في سبيل تحقيق هذه الغاية. فالشاعر حين يقصد إلى هجاء قوم يتوخى إلى ذلك إظهار مقدرته الهجائية وطول باعه في هذا المضمار"⁽²⁾.

إن كل من يقرأ، ويطلع على ما دار بين جرير والفرزدق من مناقضات وهجاء سوف يصل إلى نتيجة مفادها بأن الأحقاد سوف تبقى بينهما ما داما على قيد الحياة وهذا ما لم يحدث وذلك "لما مات الفرزدق، وبلغ خبره جريراً بكى وقال: أما والله إني قليل البقاء بعده، لقد كان نجمنا واحداً، وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلمنا مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه، وكذلك كان. وتوفي في سنة ثمانى عشرة ومئة، وفيها مات الفرزدق"⁽³⁾.

(1) الزهيري، محمود غناوي، نقائض جرير والفرزدق دراسة أدبية تاريخية، دار المعارف، بغداد، 1954 ط1، ص359.

(2) النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص527 .

(3) الصفدي، صلاح الدين خليل بن عبدالله ت(764هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق شكر فيصل، دار صادر، بيروت، لبنان، 1991 م، ط2، ج11، ص81.

إذن لم تكن النقائض بين الشعاعين في موضع الجديفة، وثبت ذلك في كثير من الروايات منها ما ذكرها صاحب الوافي بالوفيات الآنف الذكر. والدراسة تؤيد هذا الرأي؛ لأن مقومات ذلك العصر لا تنطبق مع مقومات عصرنا الحالي.

وعلى الرغم من فهم بعض الدارسين أن فن الهجاء بين جرير والفرزدق هو هجاء عدائي ولم يستند هذا الرأي إلى أدلة، وذلك لأن المصادر لم تطرق باب أي معركة حدثت بين الشعاعين أو بين رهطيهما. ويؤيد صحة ذلك بأن العلاقة بين الشعاعين علاقة حميمة؛ فقد رثى جرير للفرزدق عند وفاته وهل يعقل أن العدو يرثي عدوه؟! وهذا جرير يرثي صاحبه نائحاً متفجعاً لموته⁽¹⁾:

فُجِعْنَا بِحَمَالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غَالِبٍ وَحَامِي تَمِيمِ عَرَضَهَا وَالْمُرَاجِمِ
بَكَيْتَاكَ حَدَثَانَ الْفِرَاقِ، وَإِنَّمَا بَكَيْتَاكَ، إِذْ نَابَتْ أُمُورُ الْعِظَائِمِ⁽²⁾
فَلَا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةً وَلَا شَدُّ أُنْسَاغِ الْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ⁽³⁾

فجرير الذي هجا الفرزدق وأمه بأقذع هجاء نجده يرثي الفرزدق، ويثني عليه في محاسنه ومواقفه، فهو حامل الديات عن القبيلة، وحامي تميم وعرضها، ويجعل أمه "ليلى" أفضل من حملت من النساء. ويرثيه في أبيات أخرى قائلاً⁽⁴⁾:

فَلَا حَمَلْتُ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حُرَّةً وَلَا ذَاتُ حَمَلٍ مِنْ نَفَاسٍ تَعَلَّتِ
هُوَ الْوَافِدُ الْمَجْبُورُ وَالْحَامِلُ الَّذِي إِذَا النَّعْلُ يَوْمًا بِالْعَشِيرَةِ زَلَّتِ

وهذا جرير يتمنى أن تنقطع النساء عن الحمل ولا تبرأ الواضعات من نفاسهن؛ أي أنه يتمنى انقطاع النسل من دونه، موحياً بذلك إلى أن

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 641.

(2) حدثان: حدثان الدهر من مصائبه ومرائنه. لسان العرب، مادة: حدث، ج 2، ص 133.

(3) أنساغ: جمع نسع: سيرٌ يُظفرُ على هيئة أعنة النعال تشد به الرجال. لسان لعرب، مادة نسع، ج 8، ص 352.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 109.

الفرزدق كان خير الناس، وأنه لا قبل لأي امرأة أن تتجب عديلاً له. ويرثيه فيقول كان يفيد في أمور الصلح، فلا يخذل، كما كان يتكلف أعباء العشيرة ويحملها، عندما تلم بها الحدثنان. وهذا الرثاء دليل طيبة نفس جرير وصدق العاطفة التي جعلته ينسى كل ما قاله الفرزدق فيه من هجاء في قصائده. فقد رثى جرير صاحبه بقصيدة تُعد من روائع الشعر العربي، التي تنم عن الأخلاق الحميدة لدى البدوي العربي الأصيل. وكيف لا فجرير الضاحك الباكي الذي كان مذهبه في الهجاء قوله: "إذا هجوتم فأضحكوا"⁽¹⁾ وقال: إنني مدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود "نسبت فأطربت، وهجوت فأرديت، ومدحت فسنيت"⁽²⁾ ولعل إلى ذلك يمكن إضافة أنه بكى فرثى، فأحزن وأشجن.

إن النقيضة عند جرير والفرزدق تطورت تطوراً واسعاً من النواحي جميعها "فهي مناظرات تكتب من جهة، وهي عمَل أدبي يستغرق جهداً معقداً من جهة أخرى. وقد أخذت على هذا الأساس تتسع فصولها وتتسع موضوعاتها. وتضطرب في الشؤون العقلية والدينية والسياسية التي صادفت الأمة العربية. وذلك أن جريراً والفرزدق حين نهضا بهذا العمل استعاننا فيه بكل ما يمكن من توليدٍ للمعاني وتركيب فيها. أما من حيث التركيب، فقد أدخلنا عليها معانياً جديدةً اجتلباها من الإسلام، ومن المسائل العقلية التي اضطرع فيها العلماء والناس، وأما من حيث التوليد فإن المعنى الذي كان يدور في نقائضهما كانا يعرضانه في صور مختلفة"⁽³⁾.

وقد أخذ كل منهما يجوب المعاني القديمة، والمعاني الجديدة التي أحدثها، ويحاول أن يستنفد من كل مادتها وأن يستخرج منها كل ما يمكن من سخرية بصاحبه وبرهطه. ومن هنا يتبين صعوبة هذا العمل الفني وأنه لم يكن عملاً سهلاً، بل كان عملاً صعباً معقداً غاية التعقيد، ففي هذا المزج

(1) الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص546.

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص263.

(3) ينظر: ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص198، 199.

بين العناصر القديمة والحديثة، وفيه التوليد الواسع للمعاني والصور والأفكار. ولعل في كل ما قدم يوضح المنزلة الرفيعة التي كان ينزلها جرير والفرزدق في أذهان الناس خاصتهم وعامتهم لهذا العصر، فقد كان الخلفاء والولاة يجلّونهما، وكذلك كان الناس من حولهما، لهذا التفوق الفني الذي رأوه فيهما، إذ نهضا بفن الهجاء هذا النهوض، واستطاعا أن يحققا له استقلالاً واكتمالاً لم يحققه شاعر من قبلهما ولا من بعدهما، فقد استخرجا فيه كثيراً من الأفكار والمعاني، فتنوعت صور الهجاء وطرائقه تنوعاً شديداً⁽¹⁾.

مصادر الصور وتأصيل دلالاتها:

قبل الغوص وتسليط الضوء على صورة الفرزدق الأخلاقية، والشكلية، وصور أهله وقبيلته، في شعر جرير، نجد لزاماً علينا أن نخرج على مصادر هذه الصور التي تجلت في شعر جرير، وتأصيل دلالاتها، وعند دراسة الصور الشعرية وانزياحات مفرداتها يشير إلى اختلاف مؤكد في الدلالة والإيحاء وتعدد المصادر. فقد التفت جرير إلى الماضي، وأبصر فيه وأفاد من الأحداث التاريخية التي مرت على الفرزدق وقومه واستغلها جرير استغلالاً جيداً، إذ استطاع أن يحرف هذه الأحداث، ويصرفها عن معناها الحقيقي إلى فكرة شعرية مدهشة استمدتها من خياله التصوري فصاغها شعراً، وهي كثيرة ومتنوعة، إذ هي مجموعة من العادات والتقاليد والرسوم والعقائد الجاهلية والإسلامية وجب أن نبحت أثرها تحت موضوعات رئيسة، هي: (ضعة النسب) و(عدم القدرة على حماية الجار) و(عدم القدرة على الأخذ بالثأر)، إن هذه الأحداث قد تعد من أكثر المضامين الشعرية وروداً في نقائض جرير وأشعاره. كما " أفادت من القرآن الكريم والشعر الإسلامي ومن التطورات السياسية والاقتصادية والفكرية في زمنها، وقد تضافرت هذه المعطيات والبواعث أصلاً في نشوء هذه النقائض وتبلرها كما أنها تظهر رقي العقل العربي آنذاك، وقدرته على المناكفة

(1) ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 202.

الدقيقة، والمناظرة العميقة، ونقض الفكرة الكلية بتفاصيلها"⁽¹⁾. وهكذا كانت النقائص "تتألف من عناصر قديمة تتصل بهذا الحس التاريخي بكل ما للعرب في جاهليتهم من حروب ومآثر، كما تتألف من عناصر جديدة"⁽²⁾.
و من الأحداث التاريخية التي اعتمد عليها جرير في هجائه الفرزدق وقبيلته:

أولاً: ضعة النسب وإنكاره:

هذه الظاهرة الاجتماعية قد انعكس صداها في نقائص جرير والفرزدق انعكاساً تاماً. إذ نجد فيها عناية شديدة بالانتساب إلى الأب والأم معاً وذلك أنها "تحوي قدراً كبيراً من الفخر بالأبَاء والأعمام، والأمهات والأخوال، كما أنها تحوي قدراً كبيراً من الهجاء الذي يهدف إلى الحط من منازل هؤلاء وأقدارهم. ولا غرابة في ذلك، فالمناقضة في أخص معانيها تقوم على فنّي: الفخر والهجاء ولهذا كان من الطبيعي أن يستغل شعراء النقائص ظاهرة النسب فيفخروا من ناحية، ويهجوا خصومهم، ويغمزوهم من ناحية أخرى"⁽³⁾.

أخذ جرير جهد استطاعته أن يغمز نسب خصمه زاعماً، ويطعن فيه ليخرجه من دائرة النسب العربي الخالص. فنظر في نسب الفرزدق واتهمه بالهجنة "والهجين العربي ابن الأمة"⁽⁴⁾ وذلك معيب. فقد وجد جرير في نسب الفرزدق أن فقيرة جدة الفرزدق وهي أم صعصعة بن ناجية كانت سبية من

(1) الرفوع، خليل عبد سالم، الفرزدق قيناً في شعر جرير دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دالاتها، مؤتة للبحوث والدراسات، المملكة الأردنية الهاشمية، المجلد 19، العدد 8، 2004، ص 52.

(2) ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 191.

(3) نقائص جرير والفرزدق دراسة أدبية تاريخية، ص 246.

(4) ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ، مادة: هجن.

قضاة سباها سلمى بن جندل يوم الحرجات"⁽¹⁾. فكانت هذه الهجنة سلاحاً فتاكاً في يد جرير، حطم به نسب صاحبه فأخذ منها صوراً متعددة أضافها إلى الفرزدق وأبيه، فجعلهما من أبناء الأمة والنسب الوضيع، ولا يحسنون شيئاً. حتى أن ملامح الفرزدق تشبه ملامح والدته وهي واضحة بينة عليه. فمن ذلك قوله في الفرزدق⁽²⁾

إِذَا قِيلَ مَنْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ بَيَّنَّتْ قُفَيْرَةٌ مِنْهُ فِي الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ⁽³⁾
قُفَيْرَةٌ مِنْ قِنِّ لَسَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ أَبُوكَ ابْنُهَا وَابْنُ الْإِمَاءِ الْخَوَالِمِ

كما وجد جرير مغمزاً آخر في نسب الفرزدق وهو القين، والقين هو "الحداد والصانع وكل عامل الحديد عند العرب قين"⁽⁴⁾ وقد استوحى جرير تلك القصة من حادثة تاريخية، وهي أنه كان لجد الفرزدق صعصعة وجدته ليلي قيون عبيد منهم: جبير ووقبان وديسم فادعى جرير زاعماً أن جبيراً اتصل بليلي وواقعها فنسب جرير غالباً أبا الفرزدق إلى ذلك القين⁽⁵⁾.

و استطاع جرير أن يحرف هذا الخبر التاريخي، ويصرفه عن معناه الحقيقي إلى فكرة شعرية طريفة استمدتها من خياله التصوري، فصاغها شعراً وبنى عليها حقائق فنية محضة⁽⁶⁾.

فمهارة جرير الفنية أسعفته أن يستخدم فكرة القين، ويُغيّر من نمطية الصور ويجعلها ذات دلالات مختلفة في تصوير الفرزدق وقومه.

(1) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص 887.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 665.

(3) (اللهازم جمع اللهازمة: عضم ناتئ في الأذن.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص 350، مادة (قين)

(5) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص 243.

(6) (الرفوع، الفرزدق قيناً في شعر جرير دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دلالاتها، ص 59.

فلاحظ جريراً يخاطب الفرزدق بابن القين، ومن ذلك قوله في تصوير الفرزدق أنه قين وابن قين لا يستطيع أن يذود عن حماه وحمى قومه مجاشع⁽¹⁾:

فَأَخْزَيْتَ يَا ابْنَ الْقَيْنِ آلَ مُجَاشِعٍ فَاصْبَحَ مَا تَحْمِي مُبَاحاً مُدَعَّثراً⁽²⁾
وقال أيضاً⁽³⁾:

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لَا قَيْنَ مِثْلَهُ لَفْطَحِ الْمَسَاحِي أَوْ لِحَدَلِ الْأَدَاهِمِ⁽⁴⁾
فهو قين احترف القيانة نسباً وفعلاً، ومن يقوم بعمله في بري الأمشاط الحديدية وقتل القيود.

كما نسب غالباً أبا الفرزدق إلى عبد كان لصعصعة اسمه جبير فقال⁽⁵⁾:

وَجَدْنَا جُبَيْراً أَبَا غَالِبٍ بَعِيدَ الْقَرَابَةِ مِنْ مَعْبَدٍ
وَأَوْصَى جُبَيْرٌ إِلَى غَالِبٍ وَصِيَّةَ ذِي الرَّحْمِ الْمُجَهَّـدِ
فَقَالَ: ارْفُقَنَّ بِلَيِّ الْكَتِيفِ وَحَاكِّ الْمَشَاعِبِ بِالْمِيرَدِ

هنا أكد جرير زعمه بالإصاق وصف القين بالفرزدق، إذ ادعى جريراً أنّ جبيراً هذا أوصى لغالب-أبي الفرزدق- وصية الأب لابنه، ومفاد تلك الوصية: الرفق بالحديد حين يقرعه ويحك المثاقب والمبارد. وقد علّق أبو عبيدة على البيت الأول من الأبيات السابقة قال: كان جبير قيناً لصعصعة جد الفرزدق، فنسب غالباً إليه افتراءً عليه. ومعبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم⁽⁶⁾

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص296.

(2) مدعثر: المهدم.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص665.

(4) الفطح: البري. المساحي: جمع المسحاة وهي المشط.

(5) حاوي، شرح ديوان جرير، ص153.

(6) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص919.

ثانياً: الغدر وعدم حماية الجوار:

استغل جرير الجانب السلبي من الجوار وهو عدم القدرة على حماية الجار فضلاً عن الغدر به، وذلك يعد وصمة عارٍ عند العرب، فقد وجد جرير في ماضي بني مجاشع حادثة مهمة تتصل بهذه الناحية السلبية من الجوار. وهي "حادثة مقتل الزبير بن العوام وهو بجوار النعر بن الزمام المجاشعي، وذلك أن الزبير لما انصرف عن موقعة الجمل يريد المدينة جاء رجلٌ إلى الأحنف بن قيس فقال: هذا الزبير بن العوام قد مرَّ أنفأً فقال الأحنف: ما أصنع به؟ جمع بين فئتين من المسلمين عظيمتين فقتل بعضهم بعضاً، ثم لحق بقومه. وقيل: إنه قال: والله ما هذا انحياز، وقال للناس من يأتينا بخبره؟ ويظهر أن الزبير على علم بهذه المؤامرة، فلماذا استجار بالنعر بن الزمام، لكن فتياناً من بني سعد اتبعوه منهم عمرو بن جرموز. فلما لحقوا به بوادي السباع قتلوه وهو في جوار النعر المجاشعي"⁽¹⁾

ومن هنا نجد جريراً يخاطب بني مجاشع مستغلاً الحادثة بأنهم كالقصب الهاوي الأجوف بلا جوهر، وأنهم تخلوا عن الزبير وهو جارهم، وهم ضعفاء جنباء لم يدافعوا عنه، وأن الزبير الذي قتل بوادي السباع ضرج وقتل مراراً وفي ذلك يقول⁽²⁾.

وَمُجَاشِعٌ قَصَبٌ هَوَتْ أَجْوَأُفُهُ غَرَّوْا الزَّبِيرَ فَأَيَّ جَارٍ ضَيَّعُوا
إِن الرِّزِيَّةَ مَنْ تَضَمَّنَ قَبْرَهُ وادي السَّبَاعِ لِكُلِّ جَنبٍ مَصْرَعٌ

كما عير جرير الفرزدق وقومه مجاشعاً بأنهم جنباء قاعدون والزبير جارهم يقتل وهم بعد مقتله حقت عليهم الذلة، وعدم التقاخر بصلة الملوك فقد لوّثهم مقتل الزبير، ولا يجوز الاقتراب منهم، فهم كالحائض من النساء ملوثون لا يجوز الاتصال بهم ومن ذلك قوله⁽³⁾.

قُتِلَ الزَّبِيرُ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبُورَةٍ قُبْحاً لِحُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تُحَلِّلِ

(1) انظر: أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص246 .

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص420.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص538.

لا تَذْكُرُوا حُلَّ الْمُلُوكِ فَإِنَّكُمْ بَعْدَ الزَّبِيرِ كحائضٍ لم تُغَسَّلِ
وقد تقنن جرير في هجاء بني مجاشع والتشنيع بهم، والخط من منزلتهم بين العرب، مستغلاً حادثة الزبير بن العوام فنجدته يتخير صوراً من نباتات معلومة، ويتجود من الشجر أقله صلابة، وأكثره تكسراً وهشوشة وضعفاً فينعتهم به، كما صور جبن آل مجاشع وخورهم، وتخليهم عن الزبير الذي أقام له مناحة مستفيضة في شعره فرسمها بلوحة فنان مبدع.

ثالثاً: عدم القدرة على الأخذ بالثأر:

الأخذ بالثأر عادة جاهلية حرّمها الإسلام، ووقف منها موقفاً صارماً استطاع أن يحد منها؛ ليبقى الجميع تحت سلطته، ولكن تلكم العادة عادت من جديد في العصر الأموي كما كانت في عصرها الجاهلي: "إذ كانوا يجرمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتى يثأروا من غرمائهم، ولم يكن لأي فرد من أفراد القبيلة حق، ولا ما يشبه الحق في نقض هذه الشريعة، ولا في الوقوف ضدها أو الخروج عليها، فما هي إلا أن يقتل أحد منهم، فإذا سيوف عشيرته مسلولة، وتتبعها العشائر الأخرى في قبيلته تؤازرها في الأخذ بثأرها، ويتعدد القتل والثأر بينهم وبين القبيلة المعادية، وتتوارثان الثارات، حتى يتدخل من يصلح بينهما، ويتحمل الديات"⁽¹⁾.

"وبقى الأخذ بالثأر ملازماً للعربي ملازمة شديدة لا يستطيع أن ينفك منه مهما استطاع الإسلام أن يحد من هذه الظاهرة؛ لأن دمه مجبول بهذه العادة القديمة. وبذلك نجد جريراً قد عير الفرزدق بحوادث معينة زعم أنها كانت أوتاراً لبني مجاشع لم تدرك فأورثهم العار الذي لا تقوى على محوه الأيام"⁽²⁾. ومن هذه الحوادث:

أولاً: الاعتداء على جعثن بنت غالب أخت الفرزدق وخبر هذه الحادثة أن غالباً أبا الفرزدق كان قد جاور طلبة بن قيس بن عاصم بالسيدان، فكانت ظمياء بنت طلبة تحدّثت إلى جعثن فاشتبهت الفرزدق حديثها، وشغلت أخته

(1) ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ت، ط3، ص62.

(2) الزهيري، نقائض جرير والفرزدق دراسة أدبية تاريخية، ص343

ليلة فأخذ الفرزدق الجبل الذي كانت جعثن تصفق به لظمياء لتجيء، ثم حركه فجاءت ظمياء للعادة فارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت إلى رحلها فلما سُمعَ بأمرها تجمع فتیان من مقاعس أحدهم عمران ابن مرة فاستخرجوا جعثن من خبائها، ثم سحبوها ليسمعوا بها - وهذا هو صلب الموضوع - ولم يكن أكثر من ذلك وكل ما ادعى جرير غير هذا فهو باطل، ويقال: إن جعثن كانت امرأة عفيفة مسلمة سالحة⁽¹⁾.

وفي ذلك قوله⁽²⁾:

فَهَلَّا ثَارَتْ بِنَيْتِ الْقِيُونَ وَتَتَرُّكُ شَوْقًا إِلَى مَهْدَدِ
وَهَلَّا ثَارَتْ بِحَلِّ النَّطَاقِ وَدَقَّ الْخَلَائِلِ وَالْمِعْضَدِ
فَأَصَابَتْ تَقْفَرُ آثَارَهُمْ ضُحَى مِشْيَةِ الْجَادِفِ الْأَعْقَدِ⁽³⁾

ثانياً:

حادثة مقتل الخيار بن سيرة الجاشعي، وحادثة مربع في مقتل والد الفرزدق

يقول⁽⁴⁾

قَتَلَ الْخِيَارَ بَنُو الْمُهَلَّبِ عَنَوَةً فَخُذُوا الْقَلَائِدَ بَعْدَهُ وَتَقَنُّوا⁽⁵⁾
لَا يَفْزَعَنَّ بَنُو الْمُهَلَّبِ إِنَّهُ لَا يُدْرِكُ التَّرَةَ الذَّلِيلُ الْأَخْضَعُ⁽⁶⁾
وقال أيضاً:⁽⁷⁾

(1) أبو عبيدة، شرح نقاض جرير والفرزدق، ج2، ص396

(2) حاوي شرح ديوان جرير، ص156.

(3) الجادف: الكلب الذي يجذف خطوه يقارب بينه. الأعقد الكلب لأن عقاد ذنبه جعله اسماً له معروفاً، لسان العرب مادة: عقد.

(4) حاوي شرح ديوان جرير، ص424.

(5) الخيار: هو ابن سيرة الجاشعي قتله بنو المهلب في فتنة يزيد بن المهلب وكان أميراً على عمان، أمره عدي بن أرطاة وعدي ذاك كان عاملاً للخليفة عمر بن عبد العزيز.

(6) الترة: الثأر. الأخضع: من يذل لسواه ويخضع له.

(7) حاوي، شرح ديوان جرير، ص424.

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشِيرَ بَطُولِ سَلَامَةَ يَا مَرْبَعُ⁽¹⁾
وتلك الحوادث وغيرها استغلها جرير في هجاء الفرزدق وقومه بني
مجاشع، فبالغ بأهميتها وخطرها معتمداً على ذاكرته التاريخية، وتنويع
الأنماط الوصفية.

رابعاً: الفرار يوم الزحف:

لقد استغل جرير التاريخ، وحفظ أيام العرب، فتحدث عن معاركهم،
وعن فضائلهم وأجوادهم وفرسانهم كما ذكر مثالبهم وخاصة بني مجاشع،
قوم الفرزدق، وقد أسعفته في ذلك ذاكرته الفريدة، فنجدته يتحدث عن بني
مجاشع، وما لحقهم من الجبن والاستسلام في أثناء الحرب، وقد وظّف
جرير هذه الأحداث التاريخية توظيفاً جديداً في نقائضه.

وكانت الشجاعة ومفاخرها، والجبن ومثالبه من العناصر التي أكثر
شعراء النقائض أو جرير من الالتفات إليها وتوظيفها في نقائضهم وقد
"أكثرنا من هجاء خصومهما بالفرار من الحرب. وبمن سقط منهم صرعى
في الميدان، وبما أخذ منهم من مال وسبايا وأسرى، باعتبار أن هذه الأمور
من مظاهر الجبن ونتائجه. وإذ كانت (الأيام) خير مصدر لهذه المثالب،
اتخذ الشاعران منها مداداً لهذا الهجاء"⁽²⁾.

استغل جرير الأيام التي كانت على بني مجاشع، فصورها بأسلوب فني
محض وكان في ذلك بارعاً، لبقاً كعادته. فعيّرهم مثلاً بفرارهم يوم أقرن وهو يوم
"لبنى عبس على بني مالك بن حنظلة"⁽³⁾ وفيه انهزمت بنو مالك فهجا جرير
الفرزدق بقومه

(1) مربع: هو راوية جرير، وهو من قبيلة أبي بكر بن كلاب وكان مربع ضرب والد الفرزدق
وقيل إنه مات أثر ذلك وإن الفرزدق أقسم ليقتلنه، فطيبه جرير وقال له: أبشر فإنك لن تموت
إلا حَتَفَ أنفك، فلا قِيلَ للفرزدق بقتلك وكان سيفه ينبو بين يديه

(2) الزهيري، نقائض جرير والفرزدق دراسة أدبية تاريخية، ص 273.

(3) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص 809.

قائلاً: (1)

هَلْ تَعْرِفُونَ عَلَى ثَيِّبَةٍ أَقْرُنِ عَبَسًا غَدَاةً أَضَعَّتُمُ الْأَدْبَارَ (2)
يعير جرير الفرزدق بهزائم قومه وفرارهم، وأنهم جبناء وصفتهم الهرب
وقت الزحف ولا قبل لهم بالحرب والأخذ بالثأر، كما عيرهم بليلة وادي رحران
وهو "يوم لبني عامر بن صعصعة على بني دارم" (3).
فصور هذه الحادثة قائلاً (4):

وَلَيْلَةَ وَادِي رَحْرَحَانَ رَفَعْتُمْ فِرَاراً وَلَمْ تَلَوْوا زَفِيفِ النَّعَائِمِ (5)
وكذلك عيرهم مصوراً ضعفهم يوم الشيطان وهو "يوم اغارت بكر بن وئيل
على بني تميم فقاتلوه، فهزمت تميم" (6). وعيرهم بيوم القيط، قال فيه أبو عبيدة: هو
اليوم الذي تجمعت للهازم والهازم قيس وتيم الله ابنا ثعلبة بن عكابة، وعجل بن
لجيم، وعنزة ابن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارون (7)
وفيها يقول: (8)

وَيَوْمَ الشَّيْطَانِ حُبَارِيَّاتٍ وَأَشْرَدُ بِالْوَقِيطِ مِنَ النَّعَامِ
هذه الصور جميعها التي استوحاها من الأحداث التاريخية تعد من
أكثر المضامين الشعرية وروداً في نقائض جرير، وقد تمثل الأسلوب الذي
يدأب عليه جرير في تأدية معانيه، وهو ينتزعها من أديم الواقع التاريخي
وخياله التصوري، ويلم بها ويحذق من كل جهة، وهو يهب المعاني روحاً
وقدرة على البث والإيحاء، وهو يجاري الفرزدق في فحشه، وبذاعته في

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 275.

(2) أضعتم الأدبار: أي انهزمت ولم تحموا من خلفكم.

(3) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 999.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 670.

(5) رفعتم فراراً: أي رفعتم بالسير بالفرار. الزفيف: السرعة.

(6) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 1097.

(7) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 478.

(8) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 599.

صوره الساخرة التي صورَ بها الفرزدق وقومه فأكثر وأطال في تكرار كثير من هذه المثالب. ولعل هذا ماجعل بعضاً من رواة الشعر القدماء يصدرون عن رأي هو: أن جريراً لا يخرج في نقائضه في هجائه للفرزدق عن أربعة معانٍ وهي: هجاء قومه مجاشع بقتل الزبير بن العوام، ورمى أخته جعثن بالفسق، وأن الفرزدق قين ابن قين، ونبو السيف بيده حين ضرب الرومي وربما أضيف أيام العرب ووقائعها في بني مجاشع. وليثبت عندنا الرأي الذي صدر عن النقاد في معاني هجاء جرير للفرزدق نورد بعض أقوالهم.

فمن ذلك قول أبي عبيدة معمر بن المثنى عن جرير والفرزدق حينما سئل أيهما أشعر؟ فقال لسائله أبي سهيل عبدالله بن ياسين: "ويحك هل قال جرير للفرزدق إلا في ثلاثة أنواع: الزبير، وجعثن، والقين، وللفرزدق فيه مئة نوع"⁽¹⁾.

وفيه أيضاً ما روي عن أبي عبيدة قال سمعت أبا الخطاب الأخفش يقول: "وكان أعلم الناس بالشعر، وأنقدهم له، وأحسن الرواة ديناً وثقة: لم يهج جرير الفرزدق إلا بثلاثة أشياء يكررها في شعره كلها كذب، منها: جعثن، والزبير، والقين"⁽²⁾.

وبعد أن يذكر أبو الخطاب الأخفش أبياتاً شعرية تؤكد تكرار جرير لهذه المضامين يقول: "فلم يجاوز جرير هذا، ولم يحسن فيه، ولانجد للفرزدق قصيدة إلا وفيها هجاء بديع ليس في الأخرى مثله"⁽³⁾.

ويروى خبر آخر منسوب إلى أبي الغوث يحيى عن أبيه البحتري "أنه كان يُقدّم الفرزدق على جرير؛ لأن أهاجي جرير كلها تدور على أربعة أشياء، هي: القين، والزنا، وضرب الرومي بالسيف، والنفى من المسجد.

(1) المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى ت (384 هـ)، الموشح، مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار نهضة مصر، 1965، د.ط، ص193.

(2) المرزباني، الموشح، ص193.

(3) المرزباني، الموشح، ص196.

ولا يهجو الفرزدق بغير ذلك"⁽¹⁾، وحسب رواية المرزباني فإن الأشياء الأربعة هي: القين وقتل الزبير والتعبير بأخته جعثن وامرأته النوار⁽²⁾.

وقد علق خليل الرفوع على رأيي أبي عبيدة والأخفش قائلاً: "والحق أن الخيرين: الأول والثاني لم يصدرا عن ناقلين بصيرين بالشعر، وإنما هما حافظان للشعر وراويان له، ولا يعدو نقدهما عن أن يكون نقداً انطباعياً اختزالياً غير قائم على استقصاء للمضامين الشعرية ودلالات الصور والألفاظ، ولا يستند إلى تعليل منهجي لأساليب التعبير"⁽³⁾.

أما الخبر المنسوب لأبي الغوث فإننا نجد أن ابن الأثير يتهم راويه بالكذب، ولا يقبل روايته؛ لأن البحتري عارف بأسرار الكلام، خبير بأوساطه وأطرافه جيدة وريئة، وكيف يدعي على جرير أنه لم يهج الفرزدق إلا بتلك المعاني الأربعة التي ذكرها وهو القائل:⁽⁴⁾

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
فِي جَمْعِ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ⁽⁵⁾

وجمع أيضاً في هجائه الفرزدق والأخطل خصميه اللذين توقع معهما في هجاء طويل وغيرهم من الشعراء قائلاً⁽⁶⁾:

خَزِي الْفَرَزْدَقُ وَالْأَخِطَلُ قَبْلَهُ وَالْبَارِقِيُّ وَرَاكِبُ الْقَصَوَاءِ⁽⁷⁾

(1) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت، د.ط، ج3، ص275.

(2) المرزباني، الموشح، ص198.

(3) الرفوع، الفرزدق قيناً في شعر جرير، خليل عبد سالم الرفوع، ص54.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص537.

(5) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص275.

(6) حاوي، شرح ديوان جرير، ص25.

(7) البارقي: سراقه البارقي وهو شاعر. وراكب القصواء: شاعر وهو جفنة بن عباية الهزاني، والقصواء ناقتة.

كما يتحدث جرير عن ذاته الشاعرة، وأنه صاحب القصائد التي تنقل، وتطوف في كل مكان ويصف غرائب شعره التي لم يقل مثلها أحد، ويصور ورودها البلدان على أفواه من يتغنى إذا سار ليله فيقول⁽¹⁾:

وَإِنِّي لَقَوْلٌ لِكُلِّ غَرِيْبَةٍ وَرَوْدٍ إِذَا السَّارِي بَلِيْلٍ تَرْتَمَا

كما ذكر صاحب الجمهرة أهجى بيت قالته العرب الذي جاء على لسان رجل من بني عذرة، وقيل إنهم من فصحاء العرب، وذلك عندما سئل عن أي بيت قالت العرب أهجى؟ قال: قول الشاعر:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا⁽²⁾

هذا البيت من قصيدة اسمها الدامغة؛ لأن جريراً دمع بها الراعي النميري، وهو بيت مأثور أدرك فيه غاية الهجاء للراعي إذ يدعوه إلى أن ينكس نظره، وأن يخفض جبينه ذلاً ومهانة لانتسابه إلى النميريين الأذلاء، من دون بني كعب وكلاب.

وبعد الأخذ والرد في هذه المسألة يمكننا القول: الحقيقة أننا إذا ما استقصينا المعاني التي تضمنتها نقائض جرير للفرزدق نجد أنها لا تقتصر على تلك المعاني الأربعة، بل هي كثيرة ومتنوعة ومن أشهرها:

مواقعة الفرزدق للزنا⁽³⁾، و"أنه فاجر"⁽⁴⁾، وأنه لئيماً⁵ ويشرب الخمر⁽⁶⁾، و"اتهامه بدينه، وأنه رجس ولا يبالي المحرمات"⁽⁷⁾، "وأن زوجه

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 649.

(2) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب ت (170 هـ)، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، د.ط، ج 1، ص 104، 105.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 47، 66، 204، 327، 462، 617، 673.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 666.

(5) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 299، 153.

(6) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 47، 327.

(7) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 204، 230، 274، 278، 299، 325، 667.

النوار كثيرة اللؤم له"⁽¹⁾، " وأن زوجه الأخرى حذراء تتفر منه"⁽²⁾، "ويعيرُه بجدته التي زعم أنها واقعت عبدها"⁽³⁾، "ويعيرُه على أنه وضيع النسب؛ لأنه زعم أن جدته غفيرة أمة"⁽⁴⁾، "ويهجو قوم الفرزدق، ويعدد مخازيهم"⁽⁵⁾، "وأنهم ضُعفاء القلوب"⁶ "ويشبههم بالنساء وأنهم حلائل له"⁽⁷⁾، "ويهجو أم الفرزدق"⁽⁸⁾، "و يشير إلى قصة طرد عمر بن عبد العزيز له من الحجاز"⁽⁹⁾، "ويشبهه بالقرن"⁽¹⁰⁾، كما "يشبهه بشقي ثمود"⁽¹¹⁾، "وأنه وثني"⁽¹²⁾، "ويسجد للصليب"⁽¹³⁾، " وإنه مجوسي"⁽¹⁴⁾، " ولم يستطع أن يثأر لأبيه من أبي فقيم"⁽¹⁵⁾، "ويزعم أن بنات مجاشع مأوى للصوص وملعب العهار"⁽¹⁶⁾، "وفخره عليه بالشعر وتفوقه عليه وعلى غيره من الشعراء"⁽¹⁷⁾

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 557، 244، 389، 47.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، 482، 241.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير ، 671، 665، 353، 601، 581، 540، 493، 425.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير ، ص 664، 601، 562، 375، 106، 105، 67.

(5) حاوي، شرح ديوان جرير ، ص 438، 407، 406، 388، 105.

(6) حاوي، شرح ديوان جرير ، ص 47 .

(7) حاوي، شرح ديوان جرير ، ص 579، 519.

(8) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 386، 240، 124.

(9) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 152.

(10) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 579، 551، 491، 463، 454، 407، 343، 339، 298، 227، 204، 191.

.687، 666

(11) حاوي، شرح ديوان جرير، 152. شقي ثمود: هو الذي عقر ناقة النبي صالح (عليه السلام)

بعد أن نُهي عن ذلك، ص 191

(12) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 389.

(13) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 457، 438، 407، 406، 388، 105.

(14) حاوي، شرح ديوان جرير ، ص 389.

(15) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 424، 240.

(16) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 652، 564، 450، 426، 389، 388.

(17) حاوي، شرح ديوان جرير ، 599، 537، 571، 418، 375، 327.

وكل معنى من هذه المعاني السابقة يشكل صورة عامة تؤكد أصالة شعر جرير ومقدرته الفنية، فقد "تما العقل العربي في هذا العصر الأموي، وأوتي حظاً وافراً من الجدل والمناظرة والحوار، وكان ذلك ميزة امتاز بها شعراء النقائص، فقد أخذوا يتناظرون في حقائق القبائل، ومفاخرها ومثالبها كل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة، ويبحث في أدلته؛ ليوثقها، وفي أدلة خصمه؛ لينقضها دليلاً دليلاً"⁽¹⁾.

ويؤكد شوقي ضيف أن جريراً كان "يولد في المعاني والصور، ففي الظاهر يدور حول فكرة عامة واحدة، وفي الحقيقة يغوص في هذه الفكرة، ويستخرج كل ما يمكن من أصدافها ولآلئها"⁽²⁾.

وترجع قدرة جرير الفنية على توليد الصورة وخلقها إلى فحولته الشعرية وتفننه بضروب الشعر، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني قوله بعد أن عدد محاسن زهير والفرزدق والأخطل إذ قال عكرمة ابنه له: "فما تركت لنفسك؟ قال دعني فإنني نحرت الشعر نحراً"⁽³⁾ وفي موضع آخر يقول جرير عن نفسه "أما أنا فمدينة الشعراء"⁽⁴⁾.

كما جاء عنه في رواية لصاحب الأغاني: "كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق، وفضل عليه جريراً"⁽⁵⁾. كما كان مقدماً شعرياً عند أبي هلال العسكري؛ لأنه: "المستولي عليه من جميع جهاته، والتمكن من جميع أنواعه، وبهذا فضّله على الفرزدق وقالوا كان له في

(1) ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، د.ت، ط7، ص242.

(2) ضيف، العصر الإسلامي، ص201،

(3) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص250.

(4) المرزباني، الموشح، ص207

(5) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص263.

الشعر ضروب لا يعرفها الفرزدق"⁽¹⁾ وأثبت له صاحب الوساطة قصيدة هي عنده المثال في تناسب أبياتها، وازدواجها، واستواء أطرافها واشتباهاها، وملاءمة بعضها لبعض مع كثرة التصرف على اختلاف المعاني والأغراض"⁽²⁾

ولعل نحره للشعر نحرًا، وأنه مدينة الشعر، وإحسانه لضروب لم يحسنها غيره، ويبدو أن فن التصرف في كيفية تسويغ المعنى قد تميز به شعر جرير قد تؤكد قدرته على ابتكار الصور وخلقها وأن يحدث ذلك من خلال تنويع أساليب الخطاب، وتكرير هذه الأساليب.

-
- (1) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ت (395 هـ) الصناعتين (الكتابة والشعر) تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، د.ط، ص 24.
- (2) الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1966، د.ط، ص 29، ص 30، ص 31.

الفصل الأول:

صورة الفرزدق الأخلاقية في شعر جرير

تحاول الدراسة في هذا الفصل تسليط الضوء على صورة الفرزدق الأخلاقية، وما لهذه الصورة من أثر في المهجو في شعر جرير " فجرير شاعر الهجاء الأسطوري، لم يبرع في غرض من من أغراض الشعر براعته في غرض الهجاء في العصر الأموي، يقر له بالتفوق عامة الذمّاء، وخاصة الأدباء على السواء، ويجمع على الإعجاب به كبار اللغويين والنقاد والساسة والقادة، من مربد الأدب في البصرة إلى قصر السياسة في دمشق"⁽¹⁾

لقد نقّب جرير في تاريخ الفرزدق، واستغلّ ما كان معروفاً عنه من فجور، وفسق، وفقدان العفة، فقد جاء في شرح نقائض جرير والفرزدق عن قول للخليفة عمر بن عبد العزيز: "عجبت لقوم يفضلون الفرزدق على جرير، مع عفة بطن جرير، وفجور الفرزدق وخبثه وقلّة ورعه، وخوفه من الله عزّ وجلّ"⁽²⁾. ومن هذه المقولة طفق جرير يحقّر من شأن الفرزدق، ويصوّره بالصور الهجائية المزرية الفاضحة التي تسلب الفضائل، وتحط من قدر الإنسان الطيب صاحب الخلق الكريم، وهي صور كثيرة ومتنوعة، منها: صورة الفرزدق زانياً، وشارباً للخمر، و لئيماً خانعاً، و فاجراً فاسقاً، و رجساً عديم الطهارة. وكل معنى من هذه المعاني السابقة يشكّل صورة عامة تتولد منها معانٍ وصور تؤكد أصالة جرير وقدرته الفنية فيها.

(1) ظليمات، غازي، وعرفان الأشقر، الشعراء في العصر الأموي، دار الفكر، 2009، ط1، ص205.

(2) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج2، ص565.

1.1 الفرزدق زانياً

الزنا من الأمور المحرمة في الإسلام، وفي الأديان جميعاً والتردد إليه وارتكابه جريمة وردت في الكتب السماوية التي نزلت على الرسل والأنبياء، وهو انعكاس لخلق الإنسان السيء ولهذا نجد جريراً قد رسم صورة واضحة، ومقززة للفرزدق فجعله يمارس الزنا بشكل علني لا يهمله من ينصح له حتى وإن كان زوجه النوار يقول: (1)

أَمَّا يَدْعُ الزَّيْنَاءَ أَبُو فِرَاسٍ، وَلَا شُرْبَ الْخَبِيثِ مِنَ الشَّرَابِ
وَلَامَتُ فِي الْحُدُودِ وَعَاتِبَتْهُ فَقَدْ يَبْسُتُ نَوَارُ مِنْ الْعِتَابِ
فهنا يأخذ جرير على الفرزدق مخالفته لتعاليم الإسلام، وأن زوجه النوار لامته على سوء صنيعه، ضارباً صفحاً عن حدود الإسلام، ومواقفته للزنا وعدم تركه له، ولكن دون جدوى؛ لأن هذه الحالة باتت ملازمة له ومدمن عليها.

ومن صور جرير الهجائية التي رسمها للفرزدق أنه ذليل، وفاقد العفة في الليل والنهار إذ يقول (2)

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ أَخَزَّتْهُ مَتَالِبُهُ عَبْدُ النَّهَارِ وَزَانِي اللَّيْلِ دَبَّابُ
رسم جرير عيوب الفرزدق الكثيرة ومخازيه التي أدلتها فهو عبد مسترق للناس في النهار، أما في الليل فإنه يدب ويحبو إلى خدور النساء ليزني بهن، وتلحظ النكتة البلاغية في قول الشاعر: دباب فهو كالطفل يدب، ويحبو في الليل إليهم حتى لا يشعر به أحد فيفضح لسوء فعلته.

يقول جرير في فساد خلق الفرزدق وأنه يمارس الزنا بطريقة لا يضاهيه بها إنسان فيختار لهذا السلوك المشين، سلوك أبشع الحيوانات وأقذرها. يقول (3)

أَمْسَى الْفَرَزْدَقُ يَا نَوَارُ كَأَنَّهُ قَرْدٌ يَحُثُّ عَلَى الزَّيْنَاءِ قُرُودًا
مَا كَانَ يَشْهَدُ فِي الْمَجَامِعِ مَشْهَدًا فِيهِ صَلَاةُ ذَوِي التَّقَى مَشْهُودًا

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 47.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 66.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 204.

جرير يخاطب زوج خصمه النوار، ويقول لها: إن زوجها عديم الأخلاق شبيه القرد في فساد خلقه، وأنه يواقع الزنا، ويقود إليه الآخرين، ويتهمه بدينه، ويقول: إنه لا يشهد مشاهد الصلاة، ولا يؤم المساجد للعبادة والتقوى.

يؤكد جرير على لسان النوار خبث وفجور الفرزدق المفرط. يقول⁽¹⁾

أَنْتِ نَوَارٌ عَلَى الْفَرَزْدَقِ خَزِيَّةٌ صَدَقْتُ وَمَا كَذَبْتُ عَلَيْكَ نَوَارُ
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ لَا يَزَالُ مَقْتَعًا وَإِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الْخَبِيثِ يُشَارُ⁽²⁾

يشرح جرير بذكر النوار زوج الفرزدق ويقول: إنها لم تتحدث إلا بما يخزيه وبما هو صادق ولا زور فيه ولا بهتان إذ إن الفرزدق ما زال يواقع الفجور ولكن الناس علموا بذلك منه، فجعلوا يشيرون إليه به، بالرغم من تقنعه وتستره في مواقعه.

كما أن قدرة جرير الفنية في رسم الصورة الهجائية، وتقننه بها قد مكّنته من أن يضع الفرزدق في صورة متمكنة من الأصل، وكأنها طبيعة مستحكمة فيه، ورذيلة ناشئة بمنشئه، فهي لم تكن حادثة طارئة، أو نزوة شاب طائش، بل هذه هي طبيعته الغدر بالجار وفعل الرذيلة، يقول في ذلك⁽³⁾

وَمَا كَانَ جَارٌ لِلْفَرَزْدَقِ مُسْلِمٌ لِيَأْمَنَ قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمٍ⁽⁴⁾
يُوصِّلُ حَبْلِيهِ، إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ لِيَرْقَى عَلَى جَارَاتِهِ بِالسَّالِمِ
أَتَيْتَ حُدُودَ اللَّهِ مُذْ أَنْتَ يَافِعٌ وَشَيْتَ فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُ اللَّهَازِمِ
رَأَيْتُكَ لَا تُوفِي بَجَارِ أَجْرَتِهِ وَلَا مُسْتَعْفًا عَنِ لَيْلِ الْمَطَاعِمِ
تَدَلَّيْتَ تَزْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وَقَصَّرْتَ عَنِ بَاعِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 244 .

(2) المقنع: هنا الذي يستر حقيقته وشره ولا يجهر بهما.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 666، 667 .

(4) ليله غير نائم: يتهم الفرزدق بالزنا.

ومن المعروف عن العرب في الجاهلية والإسلام إنهم يراعون حرمة الجار، ويحافظون على حقوقه، وكذلك كانوا يراعون حرمة الجارة، ويكرمون مثواها، ويفخرون بذلك، ويعدونه من مآثرهم، بل يعضون نظرهم عنها إذا مرت من أمامهم حتى تدخل خدرها يقول عنتر بن شداد في ذلك⁽¹⁾

وَأَغْضُ طَرْقِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا
يقول: أغض بصري إذا بدت لي جارتي حتى تدخل منزلها فيواريها، ولا أتبعها نظري.

فقد كان لسوء حظ الفرزدق أنه لم يلتزم بتلك العادات والتقاليد العربية السامية وهذا ما جاء في قول جرير عنه، إذ يرى فيه القارئ والمتلقي الألفاظ القارصة اللاذعة جميعها للصورة الهجائية التي رسمها جرير لخصمه جاعلاً من عيوبه، وكأنها حالة ملازمة له، ومخالفة لتعاليم الإسلام وقوانينه ولم تكن حدثاً طارئاً، بل هي حالة ملازمة له، منذ نشأته متهماً إياه بالزنا ليلاً، ولا يسلم منه من شروره القريب والبعيد، فهو يجمع حباله، ويصنع منها السلالم للوصول إلى جارتها والغدر بها. فهو عديم الوفاء ذميم الخلق، لئيم لا يتعفف، وهو بعيد كل البعد عن المكارم، وهذه الصفات ماهي إلا دليل على طيش العقل، وخفة الحلم، وبذاءة الأخلاق.

يستمر شاعرنا في مطاردة خصمه، منتقياً له أبرز الصور المزرية التي تلدغ الخصم، وتحط من قدره، فنجده يغمز الفرزدق، فيصوره في بيت من ديوانه قائلاً⁽²⁾

وَيَرْضَعُ مَنْ لَاقَى، وَإِنْ يَلْقَ مُقْعَدًا يَقُودُ بِأَعْمَى فَالْفَرَزْدَقُ سَائِلُهُ
يُحَقِّرُ جَرِيرَ مَنْ قَدَرَ الْفَرَزْدَقَ، مَصُورًا إِيَّاهُ فِي صُورَةِ يَنْدَى لَهَا
جبين الشريف صاحب الأخلاق العفيفة، فيقول إنه يستجدي، ويستعطي أخط الناس وهو الأعمى، هي عادة سيئة لا يحفظ منها ماء الوجه، فقد

(1) التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنتر،، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992، ط1، ص208.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص580

استطاع جرير أن يجعلها حالة ملازمة لخصمه، ولا يقف عند حد معين، فهو يطلب، ويخطبُ وُدَّ أضعف الناس حتى وإن كان ضريراً. وهذا هو جرير الرّسّام المعروف بسلاطة لسانه، وقوة البديهة والإبداع في الشعر، وهذه الصفات هي التي ساعدت جرير في خلق الصور الناطقة المعبرة، ومن المعاني وإن كانت واضحة فهي نافذة، ومؤثرة لدى القارئ والمتلقي. ولعل سبب وضوحها يرجع إلى مراعاة جرير لأحوال الناس الذين يستمعون إلى الإنشاد، فجّلّهم من العامّة، وهؤلاء يناسبهم وضوح المعاني والصور.

2.1 الفرزدق شارياً الخمر:

من الصور الهجائية المنحطّة التي رسمها الشاعر جرير للفرزدق التي تنمُّ عن الأخلاق البذيئة السيئة التي جعله فيها متسكّعا ثملاً يقضي أيامه جميعاً متردداً على المواخير للزنا وشرب الخمر، فيقول في ذلك⁽¹⁾

أَيُّومًا لَمَّا خَوِرِ الْفَرَزْدَقُ خَزِيَّةً وَيَوْمًا زَوَانِي بَابِلٍ وَخُمُورُهَا
إِذَا مَا شَرِبْتَ الْبَابِلِيَّةَ لَمْ تُبَلِّ حَيَاءً وَلَا يُسْقَى عَفِيفًا عَصِيرُهَا

وهنا يصوّر شاعرنا خصمه الفرزدق في صورة سيئة المنظر، فهو مخمور حتى الثمالة، ليس له يوم محدد، يتردد على المواخير والحانات، وكأنه أدمن على العيش في فيها ومع زواني بابل محتسباً خمورها، كما يقول جرير: إن الخمر البابلي يُذهب الحياء، وإن العفيف يتنكر لها؛ لذلك فهو فاقد العفة دائماً أبداً، مصوراً فسقاً وارتياحه المواخير، وقد جعله مقبلاً بدار العار والمخزيات لا يفارقهما مهما طال الزمن، وتقدم بالعمر فهي طبائع ملازمة له لا يستطيع التخلي عنها.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص (327).

ويشكل الشاعر صورة ثانية حيث يضع يده على البصمات التي يترفع عنها الإنسان العربي الأصل كالتبذير، وعدم الفروسية، وخفه العقل، كقوله في تصوير خصمه بأنه لا يملك عقلاً فيقول: (1)

رَأَيْتُكَ لَمْ تَعْقِدْ حَفَاطاً وَلَا حَجِيًّا وَلَكِنْ مَوَآخِرًا تُؤَدِّي أُجُورَهَا
أَثَرْتُ عَلَيْكَ الْمُخْزِيَّاتِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْدَمَ جَانِي سَوَاءً مَنْ يُثِيرُهَا

إنها صورة ساخرة، تثير الضحك والعجب في نفس المتلقي، فقد أفرغ جرير الفرزدق من الفضائل جميعها، وألبسه ثوب الخزي والعار فلا مناص له من الخروج، وكأنها حقيقية، وجعله من أصحاب العقول الساذجة، وأنه ليس بفارس، وإنما هو يذلف إلى المواخر، فهو مبذر للمال يدفع ثمناً للشهوة ويشربها، ويصوره بأنه افتضح مخازيه وكل من يدمن المخازي يلحق من يفتضحها ببسر. كما يثبت لنا جرير بأنه صاحب القدرة الفنية المبدعة، فهو لم يدع أي فرصة من الفرص تفلت منه إلا وسخرها في غمز مهجوه، فهو بعد أن يجرد المهجو من الفضائل جميعها يتبعه في عمله، مصوره بأنه صاحب أبشع عمل ويقول: (2)

حَمَمْتَ وَجَهَكَ فَوْقَ كَيْرِكَ قَائِمًا وَسَقَيْتَ أُمَّكَ فَضْلَةَ الْجِرْيَالِ

وهنا يصور بأنه انشغل عن مكارم العظماء وأخلاق الأشراف، بنفخ كيره حتى اسود وجهه من تطاير الدخان عليه وغدا أضحوكة للناظرين فهو قبيح المنظر والشكل، سيء الخلق يسقي أمه بقية الخمر الباقية في كأسه بعد أن أتملة الشراب، وأذهب عقله.

3.1 الفرزدق لئيمًا:

يأتي هنا جرير بصورة فيها نوع من التصوير الفني لواقعة قد تكون حقيقية، وتمثل أشد حالات الإساءة والاستحقار، حيث يصوره باللئيم،

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 327.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 563.

واللئيم الدنيء الأصل الشحيح النفس⁽¹⁾. كما يحاول إثبات أن الصفات التي في المهجو من ندالة، أو حقارة، أو من بذاءة الأخلاق هي نابعة من الأصل والنسب الذي لا يتمتع بأي صفة كريمة فقد صورّه بأنه ابن الأمة التي لا قيمة لها ولا أصل وهي في قبها تعادل سبع إماء فيقول: (2)

قُفَيْرَةٌ وَهِيَ أُمُّ أُمَّ قَوْمٍ تُوَفَّى فِي الْفَرَزْدَقِ سَبْعَ آمٍ (3)
وَأُمَّهُمْ خَضَافٌ تَدَارَكْتُهُمْ بِذَحْلِ فِي الْقُلُوبِ وَفِي الْعِظَامِ⁴

على ذلك فقد أخذ جرير جهد استطاعته يُثبِت بأن الصفات المشينة مكتسبة من الوراثة، وليس من السلوك فقط، مخالفاً بذلك ما هو معهود في علم الأحياء، بأن الصفات المكتسبة لا تورث. فنجدّه يشغل هذا المغمز يضع خصمه بصور كثيرة ومتنوعة، إذ يصورّه لئيماً وضيع النسب يعرف لؤمه وضيعته نسبة من قفاه حين يدبر، فهو من عروق خبيثة، فنجدّه مصوراً أيّاه في قوله: (5)

يُبَيِّنُ فِي وَجْهِ الْفَرَزْدَقِ لُؤْمَهُ وَأَلَامٌ مَنَسُوبٌ قَفَاً حِينَ أَدْبَرَ
لَحَى اللَّهِ مَاءً مِنْ عُرُوقِ خَبِيثَةٍ سَقَتْ سَابِيَاءً جَاءَ فِيهَا مُخَمَّرًا (6)

فالصورة التي نلاحظها الآن هي صورة الرجل اللئيم ذي منقع مقرف وخبيث فهو هنا يجعل من الشخص المهجو يكره نفسه وخاصة عند الطعن بأصوله فهو يستدرجه ويقول له: إن صفاتك السيئة قد ورثتها من نسبك الرديء الذي يعود إلى جدته قفيرة.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: لئم .

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 601.

(3) أم، الواحدة أمة: المرأة المستعبدة.

(4) خضاف: الضروط من الرجال والنساء. ويقال للأمة يا خضاف، لسان العرب، مادة: خضف .

الذحل: الثأر، لسان العرب مادة: ذحل .

(5) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 299.

(6) السابياء: المشيمة التي تخرج مع الولد.

وعلى هذا النحو ألحّ جرير إلحاحاً شديداً في هجاء صاحبه، واتهمه بالفحش والفجور والذل مصوراً أياه بأبشع الصور القبيحة، ولم يقف عند هذا الحد، بل يعود ثانية مؤكداً بأن عرقه خبيث لا يصلح. فيقول: (1)

وعِرْقُ الْفَرَزْدَقِ شَرُّ الْعُرُوقِ خَبِيثُ الثَّرَى كَابِي الْأَزْنُدِ
يصور لنا جرير عرق الفرزدق؛ أي نسبه بأنه كجذر الشجرة التي تتغذى من تراب خبيث، لا خير فيه، إذ لا تشتعل ناره. ووصفه "الكابي من الزناد الذي لا يُورى. فيقال من ذلك كبا الزند، وصاد إذا لم يور" (2). كما صورّه بأنه مصاب باللؤم في بطن أمه فيقول (3)

أَصَابَ قَرَارَ اللَّؤْمِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَرَاضَعَ ثَدْيَ اللَّؤْمِ فَهُوَ رَضِيعُ
جعل من صورة اللؤم، وكأنها مرآة عاكسة له، وحقيقة ملازمة يظهر له فيها كل ما يستطيع أن يرميه بالصفات السيئة جميعها فهو مصاب باللؤم. منذ أن كان جنيناً في بطن أمه، بل إنه بعد ولادته فهو يتغذى، ويرضع من ثدي اللؤم.

إذن نلاحظ كيف يركّز جرير على صورة في الهجاء تكاد تكون لغة مكررة في أغلب قصائده الهجائية، ألا وهي الهجاء بالنسب (الطعن بالنسب من حيث الأصول) وهو حين يظهر هذه الصورة في شعره يرتب عليها صوراً متعددة، وكأن الأمر مبني على الوراثة.

كما يتوغل جرير في هجائه الفرزدق من باب اللؤم واصفاً إياه بقبول الهون والمذلة لا يغضب لحرمة تنتهك، تدل على فساد ذوق الخصم - الفرزدق - وانحطاط أخلاقه، إنه يتحمل المذلة وهو قاعد قعود الجبناء لا يبرح مكانه، ولا تستنفره حمية فيقول (4)

قَتَلْتُ أَبَاكَ بَنُو فُقَيْمٍ عَنُوءَةً إِذْ جُرَّ لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ إِزَارُ

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 153.

(2) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 919.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 438.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 240.

عَقَرُوا رَوَاحِلَهُ فَلَيْسَ بِقَتْلِهِ قَتْلٌ وَلَيْسَ بِعَقْرِهِنَّ عِقَارٌ
 فقد صور جرير الفرزدق بالجبان الذي يقبل الهوان والذل، لا
 تستهضه همّة في الدفاع عن أقرب الناس إليه، وهو أبوه الذي قتله بنو
 فقيم، ومثلوا به وهو عار، خلعت عنه ملابسه، كما أنهم قتلوه، ونحروا
 مطاياها، ولم يثار الفرزدق له. ومن الصور الهجائية المقرفة التي رسمها
 جرير للفرزدق في قوله: (1)

وَمَا لَا قَيْتَ وَيَلَّكَ مِنْ كَرِيمٍ يَنَامُ كَمَا تَنَامُ عَنِ التَّرَاتِ (2)
 نَسَيْتُمْ عَقْرَ جَعِثْنِ وَاحْتَبَيْتُمْ أَلَا تَبَّأً لِفَخْرِكَ بِالْحَبَّاتِ
 فقد جعله في صورة القاعد العاجز عن الثأر والتصدي لمن يذلون،
 فهو لا يغضب لحرمة تنتهك، يُعتدى على أخته فيسكت كالديوث راضٍ
 خانع، ويقول: إنك تحبني في المجالس بخمول، قاعداً عن الثأر قعود الجبناء
 أصحاب الأخلاق البذيئة الذين لا غيرة لهم.

ومن الصور الجريرية المذهلة التي رسم بها الفرزدق والتي تعد تأكيداً للفكر

السابقة التي تقلل من شأن المهجواذ يقول (3)

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ لَنْ يُزَاوِلَ لَوْمَهُ حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ صِرَارٌ
 وَإِذَا بَطْنَتْ فَأَنْتَ يَا ابْنَ مُجَاشِعٍ عِنْدَ الْهَوَانِ جُنَادِفٌ نَنَارٌ (4)
 يقول شاعرنا إن لؤم الفرزدق لا يزول عنه، حتى تزول عن الطرق أعلامها
 التي يهتدى بها؛ أي أن اللؤم بالنسبة إلى الفرزدق هو كالعلم بالنسبة إلى الطريق. به
 يهتدى إليه. كما صورّه بقوله: إنك إذا ملأت بطنك وأتخمت، فإنك تتعم في الثرثرة
 والهذر، متفاخراً بما ليس فيك بالرغم من قماءتك .

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 107.

(2) الترات: التارات.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 242، 243.

(4) الجنادف: القصير الملز الخلق. لسان العرب، مادة جندف .

كما يلاحظ أن جريراً " يلتقط مادة صورته من الواقع المشاهد،
القريب من المعقول"⁽¹⁾، "خصوصاً في موضوع الهجاء، فقد كان يُنهكُ
المَهْجُوَّ بكثرة الألفاظ القارصة اللاذعة، المستمدة من البيئة والواقع"⁽²⁾.
فهو يلتقط جزئيات صورته من واقعه كما في تصويره الفرزدق، بقوله⁽³⁾

مَكَارِمُ لَسْتِ مُدْرِكِهِنَّ حَتَّى تَزِيلَ الرَّاسِيَّاتِ مِنَ الْجِبَالِ
خُذُوا كُحْلًا وَمَجْمَرَةً وَعَطْرًا فَلَسْتُمْ يَا فَرَزْدَقُ بِالرَّجَالِ

عنى جرير هنا بتصوير خصمه فجعله في صورة ضاحكة مشبَّعة
بالتَّهْكُمِ والسخرية أكثر مما يعنى بالمعاني المبتكرة فهو يتلوّن حتى في صيغ
خطابه، فيخاطبه بالضمير المفرد بأنك لست بالكريم حتى إذا زالت
الراسيات العوالي من الجبال، ثم ينتقل إلى ضمير الجمع بما له من قوة
وزجر ويلفت القارئ ويشد انتباهه، نجده يحقّر الفرزدق طالباً منه أن يأخذ
الكحل، وأن يتزيّن كما تتزيّن النساء لأزواجهن، ويتعطر بعطرهن، وهنا
أفرغ الفرزدق من المكارم والفضائل جميعها حتى الرجولة.

ويستمر شاعرنا في مطاردة خصمه، منتقياً له أبرز الصور المزريّة
التي تلدغ الخصم، وتحط من قدره، فنجده يغمز الفرزدق فيصوره في بيت
من ديوانه قائلاً⁽⁴⁾

وَيَرْضَعُ مَنْ لَاقَى، وَإِنْ يَلِقَ مُقْعَدًا يَقُودُ بِأَعْمَى فَالْفَرَزْدَقُ سَائِلُهُ
يحقر جرير من شأن الفرزدق، مصوراً إياه في صورة يندى لها
جبين الشريف صاحب الأخلاق العفيفة، فيقول إنه يستجدي، ويستعطي أخط
الناس وهو الأعمى، وهذه العادة السيئة التي لا يحفظ منها ماء الوجه فقد

(1) محمد، محمد حسين، الهجاء والهجاعون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر، بيروت، د.ت، ص 199.

(2) الحر، عبد المجيد، جرير شاعر الجزالة والرقّة والعذوبة"الأغراض والخصائص ومختارات
من شعره"، دار الكتب العلمية، 1992م، ط1، ص 128.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 518.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 580.

استطاع شاعرنا أن يجعلها حالة ملازمة لخصمه، لا يقف عند حد معين، فهو يطلب، ويستعطي أضعف الناس حتى وإن كان ضريراً وهذا هو جرير الرّسام الهجائي المبدع المعروف بسلطة لسانه وقوة البديهة والإبداع في الشعر وهذه الصفات هي التي ساعدت جرير في خلق الصور الناطقة المعبرة، ومن المعاني، وإن كانت واضحة فهي نافذة ومؤثرة لدى القارئ والمتلقي.

4.1 الفرزدق فاجراً فاسقاً

الفاجر كما جاء في اللسان هو "المنبعث في المعاصي والمحارم"⁽¹⁾ وهي الرذائل جميعها التي يتعفف عنها الإنسان صاحب الخلق الكريم، ولا يتردد إليها إلا صاحب الأخلاق السيئة الذي لا يؤمن بالمعتقد الديني، وعليه صور شاعرنا خصمه بما فيه من ثغرة فجور وفسق واستهتار، وقد استطاع أن يجعل من عيوبه المتصلة بالمعتقد الديني صورة راسخة في أصله، ورذيلة ناشئة بمنشئه فيقول⁽²⁾

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِراً وَجَاءَتْ بَوَزْوَازٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ
وقد أعيد هذا البيت بنصه في موطن آخر من ديوانه غير أن لفظة فاجر، عوّضتها لفظة "فاسق" وذلك في قوله⁽³⁾

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاسِقاً وَجَاءَتْ بَوَزْوَازٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ
وكلمة الفاسق أكثر شتماً وإخراجاً عن المعتقد من كلمة الفاجر؛ لأن الفسق في معناه هو "العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق"⁽⁴⁾.

فنباهة جرير وقدرته الفنية على الإبداع وخياله الفذ، وبتقافته الدينية استطاع أن يجعل من هذه الكلمة طبيعة ملاصقة بطبع الفرزدق، فقد ذكر صاحب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية قال: قال ابن الأعرابي: لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة فجر .

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 666.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 665.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة فسق .

شعرهم فاسق. قال وهذا عجب وهو كلام عربي"⁽¹⁾. كما صوّره بأنه وزواز أي " طائش خفيف في مشيه، يقارب خطوه، ويحرك جسده، ويوزوز استه إذا مشى يلويها"⁽²⁾. وعلّق أبو عبيدة على كلمة وزواز قال: "هو الكثير النزوان والتحرك، نسبة إلى الطيش والخفة"⁽³⁾

نلاحظ هنا البراعة للشاعر جرير في تقديم الصور الهجائية المثيرة التي تخرج المهجو من طوره الديني في انحرافه عن المعتقد والخلق الكريم، وارتياحه السلوك المشين، والأخلاق المنحطة. فهو فاسق فاجر منذ ولادته، إضافة إلى حركاته الملتوية التي تنشي إليه بالميوعة والخبث كما تشير إلى خفة اللحم وطيش العقل.

5.1 الفرزدق رجساً عديم الطهارة

استغلّ جرير نفي عمر بن عبد العزيز للفرزدق من المدينة، وراح يرميه بالرجس، وعدم الطهارة وانتهاك الحرمات، ويلحق به مختلف الشرور، فنجده يصوّر مؤكداً قوله، موضحاً فكرته، بأنه رجس والرجس في معناه الأصلي "القدارة وقد يعبر بها عن الحرام والفعل القبيح"⁽⁴⁾. فيقول⁽⁵⁾

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ حِينَ يَدْخُلُ مَسْجِدًا رَجْسٌ فَلَيْسَ طَهُورُهُ بِطَهُورِ
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ لَا يُبَالِي مَحْرَمًا وَدَمَ الْهَدْيِ بِأَذْرَعٍ وَنُحُورِ⁽⁶⁾

(1) الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد ت (393 هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987، ط4، ج4، باب فسق، ص1543.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: وزوز .

(3) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، 887.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة رجس .

(5) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 230.

(6) الهدى: النياق تنحر في الكعبة.

وبما أن الرجس هو الفذارة فهو بهذه الصورة لا شيء يطهره؛ لأنه، مهما تطهر وتوضأ، لا يزول عنه الدنس، بل إنه يدنس المقام الذي يستقر فيه . كما أنه لا يبالي بمحرمات المسلمين ولا يحفل أو تغمره السعادة بالأضاحي التي تتحرر في الكعبة تبركاً وتمثلاً.

يخبر جرير عن خصمه بأنه رجس منذ خروجه من العراق، وحققت عليه العقوبة. يقول: (1)

خَرَجْتَ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ رَجْسٌ تَلَبَّسُ فِي الظَّلَالِ ثِيَابَ غُولٍ (2)
وَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَرَابٌ حَدِيدٌ وَلَا وَرَهَاءُ غَائِبَةٍ الْحَالِيلِ (3)

يضع جرير الفرزدق في رسم ساخر في غاية الإيذاء والإهانة، واصفه بالرجس ولا أمان له فهو يخرج في الليالي كالغيلان بغية الفسق والزنا مستغلاً الحمقاء من النساء اللواتي غاب عنهن بعولتهن. وهو بهذا السلوك المشين والأخلاق المنحطة، وتماديه حدود الإسلام وجب عليه الحد والعقوبة؛ بإدمانه الشراب وزناه بالنساء.

كما نجد جريراً فطناً يتتبع أخبار خصمه؛ فيصوره معيراً إياه بخزيه في الحجاز، ونفي عمر بن عبد العزيز له. يقول (4)

زَارَ الْفَرَزْدَقُ أَهْلَ الْحِجَازِ فَلَمْ يَخْضَ فِيهِمْ وَلَمْ يُحْمَدِ
نَفَاكَ الْأَعْرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تَنْفَى عَنِ الْمَسْجِدِ

ففي البيتين السابقين يصور جرير لخصمه مشهداً مقززاً يصور فيه حادثة طرده من المدينة، فقد زار الفرزدق الحجاز، فبسبب سلوكه المشين وخلق السيء، لم يكن مرحباً به ولم يحمده، فأخفق فيها بغايته، وأخزي من دونها فلم يستقبله أهل الحجاز، وأعرضوا عنه؛ بسبب فحشه لذلك طرده عمر بن عبد العزيز من المدينة.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 529 .

(2) الغول: كل شيء ذهب بالعقل، لسان العرب مادة: غول

(3) الورهاء: الحمقاء من النساء.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 152.

كما يقول جرير إن النفي للفرزدق لم يكن صادراً من قبل عمر بن عبد العزيز لأول مرة، بل كان صادراً من قبل ذلك فقد كان منفيّاً من قبل أهله. يقول⁽¹⁾

حُوقُ الحِمَارِ أبوكَ فاعلَمَ عِلْمَهُ ونفَاكُ صَعَصَعَةُ الدَّعِيّ المُسْبِعِ⁽²⁾

رسم جرير لخصمه صورة مهينة ومؤذية مثبتاً عليه صفة النفي منذ نشأته فقد أنكره الناس جميعاً وأقرب الناس إليه وهم أهله فهو منفي لقيط لا قيمة له.

يضع جرير الفرزدق في رسم ساخر في غاية السخرية والاستهزاء والإهانة، وكأنه خطر مُحْدِقٌ أو بلاءٌ مسخٌّ، محذراً منه. يقول⁽³⁾

إِنَّ الفَرَزْدَقَ مَنْ يعلَقُ زيارَتَهُ يُوبَقُ بِرِجْسٍ ولِلسَّواتِ زَوَارُ
إِنَّ الفَرَزْدَقَ يَأْمَدُ زائِرُكُمْ يا وَيْلَ قَدْ عَلِي مَنْ تُغْلِقُ الدَّارُ⁽⁴⁾

يقول عندما يزور الفرزدق يعلق به الدنس، وهو آفة من الآفات وسوءة من السوءات لا تجلب معها إلا الخزي والعار ولوثة ملوثة تلوث البيت الذي يدخله؛ لقلّة عفته وشرور غدره فهو يقبل على الفسق والمنكر دون حرج أو تقيّة .

يصور جرير الفرزدق بالرجل الذميمة صاحب الخلق السيء الذي وجب عليه الطرد أينما وجد. يقول⁽⁵⁾

ولَقَدْ نَزَلْتَ فَكُنْتَ أَخْبَثَ نازِلِ وَظَعَنْتَ لا جَذِلاً ولا مُخْتاراً⁽⁶⁾

يصوره بالزائر الخبيث المطرود لا يستقبله أحد فيرميه بخبثه في حلّه وترحاله ويقول: إنه إذا ما قام في موضع يطرد منه، ويجبر على الرحيل، فيولي مقسوراً، مغموماً.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 425 .

(2) حوق الحمار: تقال لكل رجل مقعر الصدر؛ أي مكوم الصدر. المُسْبِعِ: المُهْل. المتروك. وصعصعة: من أجداد الفرزدق. الدعيّ: اللقيط الذي يلحق بمن هو دونه.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 236 .

(4) مقداد وقَدّ: كلاهما من بني مسلمة بن عبيد. وكان الفرزدق نزل عليهم بحجر اليمامة، وهم من بني حنيفة.

(5) حاوي، شرح ديوان ص 276 .

(6) ظعن: أرتحل. الجذل: الفرخ، المطمئن.

كما صور لنا جرير أن إخراج الفرزدق وإبعاده لم يصدر عن شخص واحد، أو أهل المدينة وحدهم؛ بل تعدى ذلك إلى حجيج البيت عامة فصوره بصورة هجائية، وأجاد في تصويرها قائلاً⁽¹⁾

نَفَاكَ حَجِيجُ الْبَيْتِ عَن كُلِّ مَشْعَرٍ كَمَا رُدُّ ذُو النَّمِيَّتَيْنِ الْمُزَيِّفُ

يقول جرير إن نفي الفرزدق، وطرده لم يكن مقتصرًا على شخص واحد كعمر بن عبد العزيز أو أهل المدينة فقط؛ أصبح النفي صادرًا عن حجيج البيت عامة وهم الآتون من البلاد الإسلامية شرقها وغربها. كما أن المهجو فاسد العقيدة رديء المعدن رداءة الفلاس المزيف الذي يرد دائماً ولا يقبل أبداً.

يخاطب جرير قوم الفرزدق فيقول لهم لا يزال الفرزدق يكسب العار الذي لا يزول عنه. يقول: ⁽²⁾

بَنِي مَالِكٍ إِنَّ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يَزَلْ كَسُوبًا لِعَارِ الْمُخْزِيَاتِ الْخَوَالِدِ
فَلَا تَقْبَلُوا ضَرْبَ الْفَرَزْدَقِ إِنَّهُ هُوَ الزَّيْفُ يَنْفِي ضَرْبَهُ كُلُّ نَاقِدٍ

يصور جرير أن ضرب الفرزدق لا يصلح من أمره؛ لأنه طبع على الفساد، وعجن في دمه، فلا مناص له منه، كما أنه يقول إن صانعي النقود لا يضربون إلا من كان ممتعاً عن الزيف منها؛ أي أن الضرب لا يصلح إلا من كان صالحاً، أصلاً.

كما يؤكد ضرورة إبعاده عن مقدسات المسلمين قائلاً: ⁽³⁾

فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَرَوْتَيْنِ وَلَا الصَّافَا وَلَا مَسْجِدَ اللَّهِ الْحَرَامَ الْمُطَهَّرَا

وقد أبرز هنا، وبصورة غير مباشرة أن طهارة المسجد لا تتناسب مع أخلاق الفرزدق الشنيعة و فقدانه الطهارة، فقربه من المقدسات نجس وذنس، ويجب إبعاده عنها؛ لأنها أماكن مطهرة وبعده عنها طهارة.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، 462.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 213.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 299.

كما و أن لبراعة جرير وقدرته الفنية استطاع أن يرسم خصمه في صورة تعد الأكثر استهزاءً من الخصم والخط من شأنه، والقضاء عليه في هذه المعركة الفنية فقد شهّر به معلناً مخبراً معرفاً أهل المدينة بأن الفرزدق خبث ورجس وإخراجه طهوراً لهم يقول⁽¹⁾

هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَاحْذَرُوا مُدَاخِلَ رِجْسِ بِالْخَبِيثَاتِ عَالِمِ
لَقَدْ كَانَ إِخْرَاجُ الْفَرَزْدَقِ عَنْكُمْ طَهُورًا لِمَا بَيْنَ الْمُصَلِّيِّ وَوَأَقِمِ⁽²⁾

يحذر جرير من خطر هذا المخلوق وإذائه للآخرين كاشفاً عن هويته وكأنه يخبر عن آفة من الآفات ويحذر منه، فإنه لم يجعل فيه الرجس وعدم الطهارة مجرد غضب واقعاً على الفرزدق أو حالة سيئة مرت به، أو ذنباً ارتكبه حيناً من الزمن حتى يكون الرجس وعدم الطهارة كالشيء العارض أو الأمر العابر، فيمكن التوبة والخلص منه، بل جعل من الرجس وعدم الطهارة ذاتهما حداً جعل المهجو بمنزلة مستقر للآفات القبيحة، ومستودع للقيم والأخلاق المرذولة، ومكمن للشور المختلفة ملتصقة به فلا مناص له للخروج منها.فإخراجه وإبعاده عن المسلمين حق وواجب وظهر لهم.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، 667.

(2) المصلى: موضع الصلاة. واقم موضع في المدينة.

الفصل الثاني:

صورة الفرزدق الشكلية.

يتعقب جرير خصمه في كل موقف محاولاً النيل منه ما أمكن من الهجاء لخصمه، معتمداً على الصور الحسية المستمدة من واقع الشاعر، راسماً له أخزى الصور التي تعد أشدّ إقذاً، ومنها: الصورة الحيوانية، وصورة الفريسة، وصورته قيناً، وصورته شقي ثمود، وصورته ذليلاً.

1.2 الصورة الحيوانية:

يصور جرير خصمه الفرزدق بصور حيوانية عديدة، مجردة من صورته البشرية، ويضعه في دركة البهيمة العجماء، ويجعله محلها وفي أوصافها، وينتقي له من أشكال الحيوانات، ما يعده أعلق بشخصيته، وأنسب لطبعه، فإذا به يصور الفرزدق قرداً قائلاً: (1)

وَهَلْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قِرْدٍ أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَا
ولعل اختيار جرير لصورة القرد وقد فعلت الصواعق فعلتها فيه يقف ورءها دافع ألا وهو التحقير والشتم لخصمه من أجل أن تكون ضربة قوية تفقد الخصم القدرة على التحدي والمقاومة، وتجبره على الانسحاب من هذه المعركة الفنية. كما نلاحظ جريراً لا يقف عند هذا الحد من الصور الهجائية المزرية، بل يجعله في صورة أكثر تقييحاً، وذلك عندما يتعرض الفرزدق له. يقول: (2)

تَعَرَّضَ حَتَّى أَتُبَّتْ بَيْنَ خَطْمِهِ وَبَيْنَ مَخَطِّ الْحَاجِبِينَ الْقَوَارِغُ (3)
أَرَى الشَّيْبَ فِي وَجْهِ الْفَرَزْدَقِ قَدْ عَلَا لَهُازِمَ قِرْدٍ رَتَّحَتْهُ الصَّوَاعِقُ

يوجه جرير سهامه نحو خصمه متحدياً، فنجده في ذلك يتجه ليختار للفرزدق الوسم الذي لا يمكن إخفاؤه فهو باق أبداً أمام أنظار الناس، وبصورته البشعة، فنجده يختار الأنف الأفتس معبراً بذلك عن إهانته وإذلاله لخصمه، وكذلك اختار موطناً

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 343.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 454.

(3) القوارغ، جمع مقرع: الفأس، لسان العرب، مادة قرع .

لميسمه في خطمه وحاجبيه ليدل على التحدي والعلو على الخصم، والنيل منه وقد يكون للشاعر في هذه الأبيات إشارة أو منحى آخر فالوهم قد يكون علامة من علامات الملكية فقد توسم الأنعام في جبينها من أجل التعرف إليها، وإعادتها إلى مالكاها.

كما أنه يضعه في صورة ثانية تكون أكثر مسخاً واستهزاء وتقبيحاً، وإذا هو بالقرود في تلمضه وحركاته المشينة الذي أصابه الشيب في أصول حنكيه مصوراً إياه في صورة يشتمز لها الإنسان العاقل ويبتعد عنها، بل لا يحب النظر إليها. ومن صور جرير الساخرة التي يغمز بها المهجو في هجائه وتفننه في رسم الصورة من سمات وأشكال مختلفة، فنجد على وعي تام في تصويره فهو يعرف من أين يبدأ، وأين ينتهي فهو لا يهجو إلا هجاءً لازعاً مقبلاً يدخل في صميم المهجو ويؤثر عليه.

يقول: (1)

وَلَقَدْ صَكَتُ بَنِي الْفَدُوكِ صَكَّةً فَلَقُوا كَمَا لَقِيَ الْقُرَيْدُ الْأَصْلَعَ (2)
لقد استطاع جرير أن يتخير لمهجويه من الصور أنواعاً، ويرسمها كيفما أراد فجرير يستعير لخصمه هنا من سمات الأدميين ما يشوه شكله، ويشين مظهره فيجعله أصلع الرأس، ويضيف إلى حقارته الأولى حقارة ثانية حين يصغره واصفاً إياه بالقرود ليصبح أكثر سخرية واستهزاء تاركاً هزات عنيفة واضطراباً في نفس المهجو.

كما يصور الشاعر خصمه في صورة القرود الذي يحاول المراوغة والهرب.

يقول: (3)

يَرُوعُ الْقُرْدُ مِنِّي إِنْ رَأَنِي فَقُلْ لِلْقُرْدِ: أَيْنَ تَرُوعُ أَيْنَا؟
أَحِينَ رَأَيْتَنِي مَرِسَتْ حِبَالِي وَجَدَّ الْجِدُّ تَسْأَلُنِي الْهُوَيْنَا

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 419.

(2) الفدوكس: جد الأخطل. القرود الأصلع: الفرزدق.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 686.

فهو قرد يحاول المراوغة والهرب من المطاردة الشعرية الشرسة التي أنهكته، وقطعت أمامه السبل جميعاً فهذا جرير إذا جد الجد وأشدت أور المعركة الفنية فلا هوادة فيها فلجرير الصولات والجولات فقد مد حباله ونصب شبابه فلا مفر للخصم منه إلا أن يعلق في الربق، ومن خلال هذه المهارة الفنية جعل جرير الفرزدق في صورة القرد وهو سيده فيجرّ به إلى حيث يريد. من خلال السيطرة التامة والقدرة على إسكات الخصم، ولإبداع في التصوير والتفنن به. يختار جرير لخصمه صورة يكون من خلالها أكثر براعة ودقة في رسم الصور الساخرة بعد أن جعل من صورة المهجو قرداً محتز الأنف، أصلع الرأس، غطّى الشيب لهازمه، صاحب المراوغة والحركات الخبيثة، وما هي إلا الصورة الساخرة: " (الكاركاتيرية) carton هي صورة يرسمها الفنان لشخص، أو موقف يستخدم فيها التشويه بقصد السخرية والإضحاك ⁽¹⁾.

ومن الصور الهجائية التي تؤكد أن أهدافها الفنية هي السخرية والإضحاك والقدرة العالية لجرير في توظيف المفردات التي تلفت القارئ إليها، وتثير إعجابه. قوله: ⁽²⁾

جَلَجِلُ كُرَجٍ وَسِبَالُ قَرْدٍ وَزَنْدٌ مِنْ قُفَيْرَةٍ غَيْرُ وَاِرِي
تَدَافَعْنَا فَقَالَ بَنُو تَمِيمٍ : كَأَنَّ الْقَرْدَ طُوحَ مِنْ طَمَارٍ ⁽³⁾

فقد صور في هذا المقطع الشعري وأقذع الصور فجعله في صورة بهلوانية على شكل دمية يلهو بها الصبيان وهي تثير الضحك والسخرية والاستهزاء في وقت واحد وبسبال القرد الذي في أذياله الخيبة كما يصور زند الفرزدق الهاوي لا يوارى، أي كأنه مخفق فيما ينتزع إليه، ثم أنه يلقي بهذا القرد من مكان شاهق

(1) وهبة، مجدي، وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، 1984، د.ط، ص 228.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 227

(3) طمار: اسمٌ للمكان المرتفع، لسان العرب مادة: طمر، ج4، 502.

باعتراف "قبيلة تميم التي يرجع إليها نسب جرير والفرزدق"⁽¹⁾. وبهذا يعلن جرير انتصاره الساحق وذلك بعد أن رمى خصمه من المكان الشاهق. يلحق جرير الفرزدق بصورة أكثر هزلاً، وتجاهل بشخصية الخصم فهو بعد الانتصارات التي حققها على المهجو يلتفت إلى قومه المخدوعين بشاعرهم فيجعلهم أهلاً للسفاهة في الرأي، وهي مثلبة نافذة مؤثرة على الخصم. يقول:⁽²⁾

أَمِنْ سَفَاهَةِ الْأَحْلَامِ جَاؤُوا بِقِرْدِهِمْ إِلَيَّ وَمَا قِرْدٌ لِقِرْمٍ يُصَاوِلُهُ⁽³⁾
يضع جرير الفرزدق في رسم ساخر في غاية الإيذاء والإهانة فيخرجه في صورة القرد القبيح الحقير ذي الحركات الباعثة إلى الضحك وهو يحاول يأساً وعبثاً مصادمة فحل جمال لم يركب ولم يذل. ويبدو أن جريراً قد أفاد من قصة المسخ لبني إسرائيل قرده وخنازير؛ ليوظف فعل المسخ في رسم هذه الصور المهينة والمؤذية لخصمه الفرزدق

2.2 صورة الفريسة:

أكثر جرير من صورته الهجائية في هذا النوع من الصور التي استمدّها من الطبيعة معتمداً على قوة إبداعه وعمق خياله. فيصور جرير نفسه في تمكنه من الفرزدق وقدرته على النيل منه واصفاً نفسه بالصقر الذي ينقض من السماء فيختطف الفرزدق ويجعله فريسة له. يقول:⁽⁴⁾

إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَالٍ⁽⁵⁾

(1) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص5. ج21، ص180.

(2) شرح ديوان جرير، ص579.

(3) القَرْمُ: الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحالة. لسان العرب، مادة: قرم، ج12، ص473.

(4) شرح ديوان جرير، ص537.

(5) انصببت: انقضت

فجرير هنا هو الطائر الذي ينزل بسرعة خاطفة يساعده قانون الجاذبية في خطف فريسته، فيمزقها شراً ممزق بعد الانقضاض عليها. يصور الشاعر نفسه الصقر الجارح الذي ينقض على خصمه، والذي يضعه في صورة الطير الواهي الذي لا يملك أي وسيلة دفاع أمام الصقر فهو لا يصلح إلا طعاماً له. مستهزئاً به، مفتخراً عليه بقدرته الفنية ومكانته الشعرية على النيل منه، وإضعافه والاستسلام له وهذا هو أسلوب الفنان والشاعر المميز والتمكن من فنه.

لم يترك جرير الفرزدق في هذه الصورة التي تمكنه من افتراسه بنظره الثاقب من الجو والانقضاض عليه، بل نجده في البر كالليث الكاسر في الغاب ينقض على فريسته مصوراً الفرزدق.
يقول: (1)

أَلَا إِنَّمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ ثَعْلَبًا ضَغَا وَهَوَ فِي أَشْدَاقِ لَيْثٍ ضُبَّارِمٍ (2)
من المعلوم أن الليوث لا تصطاد من الفرائس إلا الغزلان، لكن يُلاحظ في هذا البيت الذكاء الذي يمتاز به الشاعر، فنجده يبخل على خصمه أن يكون كالغزال في أشدق الليث، بل جعله مفترساً في صورة تثير الاشمئزاز والإذلال، فهو يتخير له من الحيوانات الثعلب الأكثر مكرًا وحيلة والذي لا يصلح طعاماً، فقط من أجل التخلص منه والقضاء عليه ثم تمزيقه وإطراحه أرضاً، بعد الانقضاض عليه من قبل الليث. وكأنني بجرير يقول: إن كنت مخادعاً يا فرزدق فأنا من يقطع شأفة خداعك وروغائك.

ولقدرة جرير الفنية وخبرته ساعدته في انتقاء أبشع الحيوانات، وأشدّها غدراً فيتخير له من الحيوانات الزاحفة الحية فيضعها في لوحات رسومه، ويغمز بها خصمه.

يقول: (3)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 665.

(2) ضُبَّارِم: الأسد الوثيق الجريء على الأعداء. لسان العرب، مادة: ضبرم، ج 12، ص 352.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 556.

ينتقي جرير صوره من واقع البيئة والطبيعة التي يعيش فيها وذلك لتكون أكثر وضوحاً وواقعية إلى عقل القارئ وأكثر تأثيراً في روح الخصم، فيصور جرير الفرزدق بالحياة وهي صورة تثير الاشمزاز والتقزز، ويقشعر البدن عند رؤيتها فهي دائماً تحاول الغدر والتمويه ثم الهرب، إلا أن جريراً فطنٌ لحيلها، عالمٌ، بغدرها، خبيرٌ بقتلها فهو الفارس الجسور القاتل لهذه الزاحفة.

وفي صورة ثانية يظهر جرير قدرته الفنية وإبداعه في التصوير فهو يوسم بمياسمه يضع الخصم تحت كلكله. يقول: (1)

وَلَقَدْ وَسَمْتُكَ يَا بَعِيثُ بِمَيْسَمِي وَضَعَا الْفَرَزْدَقُ تَحْتَ حَدِّ الْكَلْكِ (2)

تظهر هذه الصورة أعلى ملامح الذل التي يرسم بها جرير لخصمه فهو بعد أن ينتهي من البعيث، ويضع مَيْسَمَهُ عليه، وينتهي أمره يلتفت إلى خصمه الثاني الفرزدق، ويضعه تحت كلكله فيطحنه طحناً حتى يصح صياح الحيوانات التي تتعرض للافتراس وهذا هو الأسلوب المميز الذي يستخدمه الفحل عندما يقتل فريسته.

إن جريراً قضى على خصمه في البر وأراد الاستمرار في المطاردة لتشمل البحر فما هو يطارده في الماء فيجعل من أشعاره البحر والتيار الجارف الذي يجر خصمه إلى الأعماق. يقول: (3)

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ شَاعِراً حَتَّى غَرَقْتَ وَضَمَّكَ النَّيَّارُ
نَزَعَ الْفَرَزْدَقُ مَا يَسُرُّ مُجَاشِعاً مِنْهُ مُرَاهَنَةً وَلَا مِشْوَارُ
قَصَرْتُ يَدَاكَ عَنِ السَّمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ لِلشَّجَرِ الْخَبِيثِ قَرَارُ

يقول له: إن بني قومك غرّوا بك، وتوهّموا فيك شاعراً قادراً على الدفاع عنهم، إلا أنك غرقت في بحر قصائدي، ولم تفلح في التصدي والدفاع عن نفسك وعشيرتك، بل أغرقتك في خضم قصائدي وأهلكتك، ويؤكد قائلاً: بأن أمر الفرزدق

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 538.

(2) الكلكل: الصدر

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 244.

قد انتهى، ولم يعد قادراً على التعرض لخصمه، وأنه نلّ وطأطأ هامته التي لم ترتفع أبداً وتسبق كالشجرة العالية؛ لأن الأرض لا تنمي الأشجار الخبيثة.

وبعد أن اتخذ جرير صفة التيار الجارف الذي أغرق به خصمه نجده يتخير البحر من أجل أن يقذف الفرزدق به، ويرديه ميّناً. يقول: (1)

أَطْهَيْ قَدْ غَرَقَ الْفَرَزْدَقُ فاعلموا في اليمِّ ثم رمى به في السّاحلِ (2)
قد أغرق جرير خصمه الفرزدق في اليم، وانتهى أمره فقد أعلن انتصاره عليه، وهو انتصار الفارس الساحق على خصومه معلناً متبخترًا بكل تفاخر، معلماً طهيّة بخبر غرقه فلجرير فنه الساحر فقد استعار له من البحر اتساعه وعمقه وخطره، ولا سيما إذا ما تلاطمت الأمواج العالية مبتلعةً إياه تتقاذفه، وأخيراً غرق الفرزدق في بحر أشعار جرير، ورمى به على شاطئه ميّناً.

من الطرافة والإثارة العجيبة والقدرة الفنية الهائلة التي يمتلكها جرير والإبداعات والفكرة الغريبة التي تمتع المتلقي أنه استطاع أن يصور نفسه بالصقر الذي ينقضُّ على فرائسه من الجو، والأسد الذي يتبع خطا الفريسة فيقتلها في الغابة، ثم يلوح بصورة ثانية تبهر المتلقي، وتسكت الخصم وإذ هو بالحوت المفترس. يقول: (3)

تَغَمَّدَهُ آذِيٌّ بَحْرٍ فَعَمَّهُ وَأَلْقَاهُ فِي فِي الْحُوتِ فَالْحُوتُ أَكَلَهُ (4)
امتاز جرير في الصور جميعها التي يقدمها في التصوير الباهر وعدسة الفنان المبدع فهو يجعل من صورته الهجائية وإبلاً من السهام فيوجهها إلى خصمه، فقصاصه بحر من الشعر، وحوت في مقداره أن يبتلع كل دابة على سطح الأرض وفي البحر؛ لأنه أكبر الكائنات الحية.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 520.

(2) طهّي: مرخم طهيّة القبيلة التي غضبت لهجاء جرير بني مجاشع. انظر: حاوي، شرح ديوان جرير، ص 69.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 579.

(4) تغمده: غطاه. الآذي: الأمواج العالية. غمه: ارتفع فوق رأسه.

رسم جرير صورة متكاملة الأطراف واضحة المعالم؛ فقدرته الفنية مكنته من التنوع في التصوير بقتل الفرائس بطرائق وصور متعددة كيفما يريد. كما يفخر جرير على خصمه بمجده العالي مصوراً إياه وكأنه بأموج البحر العاتية. يقول: (1)

عَلَّتْكَ أُوَادِيٌّ مِنَ الْبَحْرِ فَاقْتَبِضْ بِكَفَيْكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ لُجِيٍّ تَقْدَحُ (2)

يصور جرير مجده بالموج العالي المتراكم في البحر، ويدعو الفرزدق أن يغترف من حيثما يشاء من بحره ومن كنوزه، وهذا أعلى غايات الاستهزاء وإنقاص القيمة أمام المخاطب؛ أي أنه يهزأ به، ويجعله لاحقاً له في المجد يقتبس منه، ويستعطي النزر اليسير. وفي هذا المشد تكمن براعة جرير فقد استطاع أن يرسم صورته، ويقتطف عناصر حركتها من قوة إبداعه، وعمق خياله الفذ. يختط جرير لصوره الهجائية مساراً جديداً غير المسار السابق الذي ينحل فيه صورة التيار الجارف، ومن استعاراته من البحر عمقه وخطره وما فيه من كائنات حية وأمواجه العاتية فيأخذ صفة العنصر الضد النار الحارقة الموقدة ينبعث لهيبتها، ويلحق سعيها بالغوأة. يقول: (3)

تَرْجُو الْهُوَادَةَ يَا فَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا أَطْفَأْتَ نَارَكَ وَاصْطَلَيْتَ بِنَارِي (4)

إِنِّي لَتُحْرَقُ مَنْ قَصَدْتُ لَشْتَمِهِ نَارِي وَيَلْحَقُ بِالْغُوَاةِ سُعَارِي

يجعل جرير خصمه المهجو في صورة المصطلي المحروق في نيران أشعاره فهي كتلة نارية حارقه يوجهها جرير صوب الغوأة من أعدائه فيقضي عليهم حرقاً بناره التي لا هوادة فيها ولا يعطي للخصم أي فرصة للإفلات فهي نار موقدة

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 131.

(2) الأواذي: الأمواج العالية.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 386 ، 387.

(4) الهوادة: المهادنة.

لا تترك من تقتحمه إلا رماداً وهذه هي نهاية الشعراء الذين يعترضونه وقد عبر عنه الشاعر في قوله "هجوت فأرديت"⁽¹⁾

يصور جرير الفرزدق بمنظر قبيح مشوه الخلق، فقد تعرض إلى نارٍ مستعرة تاركة آثار الحرق عليه. يقول:⁽²⁾

أَلَا رُبَّمَا بَاتَ الْفَرَزْدَقُ قَائِمًا عَلَى حَرِّ نَارٍ تَتْرِكُ الْوَجْهَ أَسْفَعًا

هذه صفة أشعار جرير النارية، فإنها توجع الخصم وتترك به آثاراً لا رجاء في الشفاء منها فقد صاغها من هو بارع في صياغة الأشعار فهو الشاعر المفلق لا يشق له غبار فقد جعل من الخصم في هذه الصورة قائماً على ناره أي يبقى دائماً مستمراً حتى جعل من وجهه أسود أسفع محروقاً لا طاقة لأحد بالنظر إليه وهذا هو الواقع المهلك الذي يتركه شعر جرير في الخصم عند ما يهجو.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن جريراً تمكن من توظيف عناصر الطبيعة وواقع البيئة المحيط بالشاعر في أشعاره توظيفاً ناجحاً. ومن تلك الصور الجوية، والبرية، والبحرية، وكذلك النارية فنشط من خلالها بعد أن استمد منها معظم صورته الهجائية، واستطاع أن يلتقط عناصر حركتها من قوة إبداعه وثقافته الفنية العالية. فصورها بأسلوب مميز.

3.2 الفرزدق شقي ثمود

إن جريراً يمتلك ثقافات متنوعة، أسعفته في رسم صورته، ومن هذه الثقافات المتنوعة: الثقافة الدينية التي تجلت عنده من خلال توظيفه لقصص الأنبياء، ومعولاً على أدلة وأقيسة منطقية فمن صورته الهجائية في هذا الشأن يقول:⁽³⁾

وَشَبَّهْتَ نَفْسَكَ أَشْقَى ثَمُودٍ فَقَالُوا: ضَالَّتْ وَلَمْ تَهْتَدِ

يشير هنا إلى قول الفرزدق مشبهاً نفسه لشؤمه بعاقرة ناقة ثمود، الذي عقر ناقة صالح عليه السلام بعد أن نهى عن ذلك؛ فأهلك قومه، فقد أخذ جرير هنا

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص 263.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 407.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 152.

الموضوع من الصفات الإنسانية والمصدر من قصص الأنبياء. فجرير في رسمه لهذه الصور يكون أكثر إقناعاً، وواقعية للمتلقى، لأن مصدرها موثوق به.

4.2 صورة القين:

استطاع جرير أن يستخدم صورة القين، ويغيّر في نمطية الصورة، ويجعلها ذات دلالات مختلفة. فنجد جريراً ساخراً من الفرزدق واصفه بأقبح الصفات التي تقلل من شأنه وقيّمته الاجتماعية وهي صفة القين التي لا يزاولها إلا العبيد أو صناع الحدادة، وبهذه الصفة التي ألصقها جرير بالفرزدق. يقول: (1)

فَخَرْتُ بِأَيَّامِ الْفَوَارِسِ فَاْفَخَرُوا بِأَيَّامِ قَيْنَيْكُمْ جُبَيْرِ وَدَاسِمِ (2)
بِأَيَّامِ قَوْمِ مَالِقَوْمِكَ مِثْلَهَا بِهَا سَهَلُوا عَنِّي خَبَارَ الْجَرَائِمِ (3)
أَقِينِ ابْنَ قَيْنٍ لَا يَسُرُّ نِسَاءَنَا بَذِي نَجَبٍ أَنَا ادْعَيْتَنَا لِدارِمِ
وَأُورَثَكَ الْقَيْنِ الْعَلَاءَ وَمِرْجَلًا وَإِصْلَاحَ أَخْرَاتِ الْفُؤُوسِ الْكَرَازِمِ (4)
وَأُورَثَنَا أَبَاؤَنَا مَشْرِفِيَّةً تُمِيتُ بِأَيْدِينَا فُرُوحَ الْجَمَاجِمِ (5)

يظهر من الأبيات استهزاء جرير بالفرزدق وقومه وبماذا يفتخرون فهم عبارة عن قبيلة يعملون مهنة القيانة فهو بهذا يبعد عن الفرزدق وقومه الأعمال التي ترفع من شأنهم كالفروسية، والدفاع عن القبيلة، وحماية النساء والأطفال؛ لأنهم لم يمسكوا عنان الخيل، وحمل السيوف فهم لا يُعرف عنهم غير مهنة الحدادة التي لا يعمل بها الشخص الموسوم بالشرف والكبرياء التي هي موجودة بقوم جرير الفوارس، ويصفهم ويزيد من الصفات التي ترضيهم، وتخزيهم، وتجعلهم عاجزين عن اللحاق بقومه، فيصفهم بالجرائم التي تتجمع تحت الأشجار فليس في كثيرتهم من شيء يرفع

(1) حاوي، شرح ديوان جرير ص 665.

(2) جبير وداسم: عاملان يتهم نساء بني مجاشع بمواقعتهم.

(3) خبار: ملآن من الأرض. الجرائم: التراب المجتمع في اصول الشجر.

(4) الكرازم: الواحدة الكرز: الفأس ذات الحدين.

(5) المشرفية: السيوف، لسان العرب، مادة: شرف . فروخ: جمع فرخ: الدماغ، لسان العرب،

مادة: فرخ .

من شأنهم فهم جمع من العجزة المنحطين، و القيان متوارثة عندهم من الأجداد، ولامجال للانفكاك منها؛ لأنها صفة تعرف بها قبيلة الفرزدق، وهم لم يعرفوا السيف والدفاع عن أنفسهم ؛ لأن أيديهم لم تعتد عليها، فهم عبيد وجمع من العجزة التي لم يعرفوا غير صناعة الفؤوس وأدواتها، ويقول جرير نحن الأسياد أصحاب الشجاعة في المعارك فهي صفة قبيلة جرير المعروف عنهم الكرم والشجاعة، والدفاع عن الأهل.

ومن الطرافة والملحوظة في الأبيات السابقة تكرار كلمة القين بكثرة، والقارئ في ديوان جرير يلاحظ انه لا تكاد قصيدة من قصائده التي يذكر فيها الفرزدق تخلو من هذه الدلالة. وتكرار المفردات في النص يكون خادماً للصورة مغنياً لها، وعليه " فمظاهر التكرار في اللفظ لم تقع عبثاً وإنما كانت مداداً قوياً للصورة، ونبعاً فيّاضاً لخصوبتهما وثراء في إتقانها وأحكامها "(1)

وليعطي جرير الصورة أكثر منحي وواقعية لدى المتلقي يذكر على لسان زوج الفرزدق (حدراء) نكرانها له لما تركت هذه الحرفة من علوق الصداً بجسمه حتى تغير لونه وخرجت رائحته النتنة وهي رائحة الدخان وعرق الفرزدق وجوفه. كما أنكرت حدراء على الفرزدق وأهله ريحهم وامتھانهم الأعمال القبيحة التي تترفع عنها، وأن تكون منهم فهي من بنات الكرماء وأصحاب الشرف والنسب العالي. وفي ذلك يقول: (2)

حَدْرَاءُ أَنْكَرَتْ الْقِيُونَ وَرِيحَهُمْ وَالْحُرُّ يَمْنَعُ ضَايِمَهُ الْإِنْكَارُ
لَمَّا رَأَتْ صَدَأَ الْحَدِيدِ بِجَلْدِهِ فَالْلَوْنُ أَوْرَقُ وَالْبَنَانُ قِصَارُ
قَالَ الْفَرَزْدَقُ: رَقَّعِي أَكْيَارَنَا قَالَتْ: وَكَيْفَ تُرَقِّعُ الْأَكْيَارُ
رَقَّعْ مَتَاعَكَ إِنْ جَدِّي خَالِدٌ وَالْقَيْنُ جَدُّكَ لَمْ تَلِدْكَ نِزَارُ

يحاول جرير أن يضع يده على الجروح التي لا تُشفى عند الفرزدق وقبيلته، فيصفهم بصفات قد توارثتها القبيلة من الأجداد، وقد وصف جرير حدراء أنها قد

(1) صبح، علي، علي، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1996، د.ط، ص59.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص241.

كرهت الفرزدق وقبيلته؛ لذلك وهوانهم بين القبائل، لأنهم لم يكونوا من شرفاء القبائل ولا أسياد لها على النقيض من قبيلتها الموصوفة بأفضل الصفات مثل الشجاعة والكرم فالفرق شاسع وكبير بين القبيلتين فأهلها الأسياد، وزوجها جل ما يعرف عنه مزاولته مهنة القيانة التي تجعل صاحبها كالعبد أسود الوجه محمم اليدين فهو يعتاش على الأعمال الرديئة في حين أن قبيلتها وأهلها يعتاشون على الغنائم والغزوات التي يغزون فهذه صفة الشجعان ويضيف إلى ذلك طلب الفرزدق لها بأن ترفع أكياره وامتدائها القيانة فهي بعيدة عن تلك الأعمال الرديئة فهي من أهل موقعهم بين النجوم لا يستطيع اللحاق بها قوم الفرزدق وبأفعالهم الدنيئة التي لا ترفع من شأنهم فهم عاجزون عن الأفعال التي ترفعهم، وتجعلهم من الأسياد فهي في هذا كله تضع مقارنة بين الأجداد، وما يتصفون بها من صفات حسنة تجعلهم من شرفاء القبائل.

كما صور جرير حدراء وهي تنحى باللائمة على أهلها بمصاهرتهم هذا القيون، داعية متضرعة إلى الخالق للخلاص منه. يقول: (1)

وَسَمِعْتُهَا اتَّصَلَتْ بِذُهْلِ إِنْهُمْ	ظَلَمُوا بِصِهْرِهِمُ الْقَيُْونَ وَجَارُوا
دَعَتِ الْمُصَوِّرَ دَعْوَةَ مَسْمُوعَةٍ	وَمَعَ الدُّعَاءِ تَضَرَّعٌ وَحِدَارٌ
عَازَتْ بِرَبِّكَ أَنْ يَكُونَ قَرِينَهَا	قَيْنًا أَحَمَّ لِفَسْوَهِ إِعْصَارُ
أَوْصَتْ بِلَائِمَةٍ لِزَيْقٍ وَأَبْنَاهِ	إِنَّ الْكَرِيمَ تَشْنِيئُهُ الْأَصْهَارُ
إِنَّ الْفَضِيحَةَ لَوْ بُلِيَتْ بِقَيْنِهِمْ	وَمَعَ الْفَضِيحَةِ غُرْبَةٌ وَضِرَارُ

إن الفرزدق لكثرة ما شهر به، وما أخزي به في مهنة الحدادة فقد جرّ النذل على الحدادين جميعا، وساق إليهم الخزي والعار لمزاولته المهنة التي لا مجال أن يعمل بغيرها من الأعمال التي ترفع من شأنه، وشأن أهله وقبيلته فهم لم يعلموا أبناءهم غيرها فغدت مهنة القبيلة التي لا يجارون فيها. وفي هذا نجد حدراء قد تضرعت إلى خالقها للخلاص من الفرزدق وأهله البؤسا لما قد أخزيت بين القبائل بزواجها منه فكرهت أن يكون زوجها من الذين يعملون الأعمال التي تجعله من

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 241.

أقبح الأشخاص لما يخرج منه الروائح المكروهة التي تكرهها النساء الحرائر. فبهذا نجدها قد أنحت باللائمة على ذويها؛ لأنهم أجبروها بالزواج منه فهو لايجر إليهم سوى الخزي والعار لمصاهرته؛ لأن أهلها من الأسياد الذين يعرف عنهم الأعمال التي تجعلهم من الرفعة في مقام الملوك، وأن أعمالهم لا يمكن نكرانها؛ لأنها كالشمس التي تظهر النهار فهو يضيف إلى ذلك القول: إن العار في أن تتزوجي من ذلك القين الذي كان مزماً أن يسوقك الى الغربية، ويجمع اليك الضرائر أي النساء المتعددات، لأنها أبت وامتعت الزواج منه فهو بهذا يريد الانتقام منها ويجعلها كالجارية في بيته.

يصور جرير ضعف الفرزدق ويعيره حين نبا السيف بيده ولم يستطع قتل الأسير ملحقاً به أفذع صور المخازي والوهن والضعف يقول: (1)

وَهَنَ الْفَرَزْدَقُ يَوْمَ جَرَبَ سَيْفَهُ قَيْنٌ بِهِ حُمَمٌ وَأَمٍ أَرْبَعُ
أُخْزِيَتْ قَوْمَكَ فِي مَقَامٍ قُمْتَهُ وَوَجَدْتَ سَيْفَ مُجَاشِعٍ لَا يَقْطَعُ
لَا يُعْجِبَنَّكَ أَنْ تَرَى لِمُجَاشِعٍ جَلَدَ الرَّجَالِ فِي الْقُلُوبِ الْخَوْلَعُ (2)
وَيَرِيبُ مَنْ رَجَعَ الْفَرَّاسَةَ فِيهِمْ رَهْلُ الطَّفَاطِفِ وَالْعِظَامُ تَخْرَعُ (3)

يقول إن الفرزدق حين جرب سيفه نبا به، وهو قين يصنع السيوف ولا قدرة له على استعمالها لأنه من أربع إماء فهو ليس فارساً وحرّاً، كما يقول إن سيف مجاشع لا يقطع، بل إنه ينبو في يديه. وهو إنما يشير إلى واقعة جرت وذلك حين "دفع إلى الفرزدق سيفاً ليقطع به رأس أحد الأسرى، فنبا بين يديه، ولم يقطع، بينما اجتث جرير رأس أسير دفعه إليه العبسيون" (4). ومن أثر ذلك طفق جرير يعير الفرزدق بالضعف والخزي والعار ويؤكد أن لا عجب في ذلك فأن الفرزدق من قوم مجاشع فقد ترى لهم هامة الرجال، ولكنهم عند الضيم، فإنهم يجبنون وتضعف

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 419.

(2) الخولع: الضعف والفرع، لسان العرب، مادة: خلع.

(3) يريب: يثير شكاً. الفراسة: التفرس بالملامح. الرهل: المسترخون. الطفاطف لحم الخاصرة الذي يطفو.

(4) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 552، 553.

قلوبهم ويعتريهم الفزع الذي يشبه المس والجنون. ويصورهم قائلاً إنهم حين تنفوس بهم وتستطلع أمرهم يريبك منهم ما يطالعك من ترهل الخواصر وطفو لحمها عليهم وكأنهم ليس من العرب، فأنهم مترهلون فقدوا القدرة على الفروسية والقتال.

يشير جرير أيضاً إلى أن أدوات القيانة وإتقان العمل بها هي الميراث الوحيد الذي ورثه الفرزدق عن آبائه يقول: (1)

وَفَازَ الْفَرَزْدَقُ بِالْكَابِتَيْنِ وَعَدَلَ مِنَ الْحَمَمِ الْأَسْوَدِ (2)
فَرَقَّعَ لِحَاكَ أَكْيَارَهُ وَأَصْلَحَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ (3)
وَأَذِنَ الْعِلَاةَ وَأَذِنَ الْقُدُومَ وَوَسَّعَ لِكَيْرِكَ فِي الْمَقْعَدِ (4)

يخاطب جرير الفرزدق قائلاً إذا كان الأبناء يورثون الأباء المجد والأموال فإنك لم ترث عن آبائك إلا كليبتين كان يقبض بهما الحديد المحمي، وموقد يتأثر فيه الرماد، ويصور جرير هذا الإرث بأنه إرث جيد يحافظ عليه الفرزدق، ويتمسك به، ويداول فيه عمله مادام حياً فيصور جرير وكأن الفوز بالنسبة للفرزدق بالقيانة هي حب وشغف بها وفرح، وفوز كبير فلا يفرط بهذا الميراث النفيس، ويدعوه إلى المحافظة على هذه الحرفة، وأن يمهر فيها حتى يورثها لأبنائه وربما نجح الشاعر في تصويره فإن هذا التصوير ينم عن السخرية بالفرزدق وأهله مصوراً كذلك ضعة أصله، وقلة شأن أجداده وكأنها حقيقة من الحقائق.

يقتنص جرير من حرفة القيانة التي ألصقها بخصمه الفرزدق صورة يضيفها إلى سجله الساخر بهذه الدلالة. يقول: (5)

أَقَيْنُ يَا تَمِيمُ يَعِيبُ قَيْسًا يَطِيرُ عَلَيَّ لَهَازِمِهِ الشَّرَارُ

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص154.

(2) الكلبتان: آلة من حديد يأخذ بها الحداد الحديد الحامي. الحمم: جمع حمة: الرماد وكل ما احترق بالنار.

(3) أكيار: جمع كير: زق ينفخ فيه الحداد.

(4) العلاة: السندان.

(5) حاوي، شرح ديوان جرير، ص289.

يعجب جرير بأمر الفرزدق الذي يتفاخر، وهو منحدر من بني القين على بني قيس الأشداء أصحاب العزم. وما زال دائباً في مهنته القيانة، وشرر النار من الكور يتطاير على ذقن وجهه، فقد أحرقت النار أطراف لحيته فأصبح ذاك المنظر البشع والمقزز حتى أصبح أضحوكة للناس جميعاً.

يخاطب جرير الفرزدق بابن ذي الكيرين الذي بنى بيتاً يخلو من الشرف الرفيع. يقول (1)

وَفِيمَ ابْنِ ذِي الْكَيْرِينَ مِنْ بَيْتِ خَالِدٍ وَهَلْ يَجْمَعُ الْبَيْتُ الْخَنَانِيصَ وَالنَّحْلًا (2)

يخاطب جرير الفرزدق واصفه بذو الكيرين الذي بنى بيتاً يخلو من الشرف الرفيع والرجال الكرماء العظماء، وأن بيوتهم لبيوت صغيرة قذرة لا تجاري بيوت أصحاب المجد، ولا تعيش فيه إلا صغار الخنازير، وأن أعمالهم وأفعالهم السيئة وبيوتهم القذرة تبعدهم كل البعد عن الأفعال التي تجعلهم يقطنون في بيوت مثل بيوت الناس الكرماء، أمثال بيت خالد جد حدراء.

كما يؤكد جرير قوله في بني مجاشع إن الله أرادهم أذلاء. يقول (3)

أُخْزِيَ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
بَيْتًا يُحَمِّمُ قِيَمَكُمْ بِفِنَائِهِ دَنَسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الْمَدْخَلِ

يقول إن الله جعل بيت بني مجاشع في أسفل نقطة من الأرض فهو سيء المقاعد لا توجد فيه زاوية إلا وقد حمت من الدخان المنبعث من الكير ثم صوره خبيث المداخل كمدخل الكنيف وهم يعيشون في تلك البيوت أذلاء صاغرين.

يؤكد جرير فشل الفرزدق، ويحصر مجده في عمله بالكير. يقول (4)

أَلَا إِنَّمَا مَجْدُ الْفَرَزْدَقِ كَيْرُهُ وَذُخْرُ لَهُ فِي الْجَنْبَتَيْنِ قَعَاقِعُ (5)

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 508.

(2) الخنانيص: صغار الخنزير.

(3) حاوي شرح ديوان جرير، ص 537.

(4) حاوي شرح ديوان جرير، ص 455.

(5) الجنبتين، مثى الجنبه: جلد بعير يضع فيه الحداد آله.

ويقول أيضاً مستلباً منه المجد والفخر: (1)

أَيْفَخَرُ بِالْمُحَمَّمِ قَيْنٌ لَيْلَى وَبِالْكَيْرِ الْمُرْقَعِ وَالْعَلَاةِ
يحصر جرير مجد الفرزدق بالكير والأدوات الأخرى الموجودة في الجلد
الذي يحمله فوق ظهره وليس له إلا أن يفخر بهذه الصنعة المهينة وأدواتها مثل:
الوعاء المحمم من النحاس، والكير المرقع لكثرة استخدامه، والسندان الذي يطرق
عليه الحديد، أثناء عمله وأن يتجول بين القبائل ليصلح الأواني، ويصنع الأدوات
البسيطة. كما أنه يعير الفرزدق وينسبه إلى جدته ليلي التي لا يزال يشهر بها زاعماً
مواقعتها عبيد زوجها صعصعة.

أثبت جرير مهارته الفنية من خلال "تنوع صيغ الخطاب التعبيرية التي تدل
على الفرزدق في شعر جرير تعبر عن انشغال جرير بممارسة الهجاء الفني معتمداً
على ذاكرته التاريخية، وتنوع الأنماط الوصفية، وكثرة إيراداتها، وهو تنوع تضمن
تعداداً في الدلالة، كما يدل على مهارة جرير في استقصاء الدلالات الأسلوبية للفظة
القين، وتوليد معانٍ جديدة تتماهى معها" (2)

من الجدير بالذكر أن جريراً صاحب ثقافة فنية متنوعة، سخرها في رسم صورته
بأشكالها المختلفة فقد أفاد من القرآن الكريم، والشعر الإسلامي والتطورات
الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، وكذلك شعر ما قبل الإسلام إذ يمكن إقرار أصل
صورة القين "مستمد من الصيغة الجاهلية، ولها أصول في الشعر الجاهلي" (3). ومن
ذلك ما عبّر عنه عمر بن كلثوم في هجائه النعمان بن المنذر إذ عرض بخاله الذي
كان ينفخ الأكيار في يثرب لصناعة الأفراط، يقول: (4)

لَحَا اللهُ أَدْنَانَا إِلَى اللُّؤْمِ زُلْفَةً وَأَلْمَنَا خَالاً وَأَعْجَزْنَا أَبَا
وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَنْفُخَ الْكَيْرَ خَالَهُ يَصَوْغُ الْقُرُوطَ وَالشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 105.

(2) الرفوع، الفرزدق قينا في شعر جرير، دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دلالاتها، ص 58.

(3) الرفوع، الفرزدق قينا في شعر جرير، دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دلالاتها، ص 52.

(4) ابن كلثوم، عمرو، ديوانه، تحقيق إميل بديع، دار الكتب العربي، بيروت، 1991 م، ط1،

وأطلق كذلك على صانع آنية النحاس، يقول النابغة الذبياني (1):
كَأَنَّ شِوَاظَهُنَّ بِجَانِبَيْهِ نَحَّاسُ الصِّفْرِ تَضْرِبُهُ الْقِيُونُ
ونخلص إلى أن جريراً "اقتتص فكرة القين من الشعر الجاهلي، إذ كانت دلالاته
مؤصلة ومعروفة عند الشعراء الجاهليين، فالقين يعني نافخ الكير الأجير بأدواته
البسيطة التي يتجول بها بين القبائل، ولباسه البالي، فدلالة القين تعني في الثقافة
الشعرية القديمة بما فيها شعر جرير، نافخ الكير المستأجر، وكانت صورته مضحكة
قبيحة، وهذا ما يريده جرير من توظيف فكرة القين إضحاك الناس من ناحية وتحقير
الفرزدق وتحقيق الانتصار الفني عليه من ناحية أخرى"²
يضع جرير الفرزدق في صورة غير مباشرة يهجوها بصورة ومن خلال
تأنيب زيق والد حدراء الذي زوجها للفرزدق.
يقول: (3)

صَاهَرْتُ قَوْمًا لِنَامًا فِي صُدُورِهِمْ ضِغْنٌ قَدِيمٌ وَفِي أَخْلَاقِهِمْ ضَيْقٌ
يَا زَيْقُ أَنْكَحْتَ قَيْنًا بَاسْتِهِ حُمٌّ يَا زَيْقُ وَيَحَكَ مَا أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ
يَا زَيْقُ وَيَحَكَ كَانَتْ هَفْوَةٌ غَبْنَاً قَيْنًا قُفَيْرَةً أُمَّ بَارَتْ بِكَ السُّوقُ

في الأبيات السابقة يعلو صوت جرير مؤنباً زيق لمصاهرته الفرزدق وقومه،
وهم جمع من اللثام فهم قوم أصحاب ضغينة وأخلاق منحطة منذ القدم فكيف يمكن
المصاهرة معهم ؛ ولكن لم تكن إلا هفوة لك فالفرزدق وقومه لم يلحقوا بالكرماء
ويضع مقارنة بين الأهل والقبيلة؛ لأن أهل حدراء من كرماء العرب، في حين أن
قوم الفرزدق ليس لهم من أفعال تدل عليهم؛ لأنهم بخلاء، وجبناء وهو ينحى باللائمة
على زيق لتزويجه حدراء للفرزدق المعروف عنه بالقيانة الملطخ بالحمم والرائحة
الكريهة؛ لمزاولته المهنة القبيحة التي لا يعمل بها من هو كريم، فيضيف إلى ذلك

(1) الذبياني، النابغة، ديوانه، تحقيق: محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع

والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، د.ط، ص 35.

(2) انظر: الرفوع، الفرزدق قيناً في شعر جرير، دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دلالاتها،

ص 53.

(3) حاوي، شرح ديون جرير، ص 482.

قوله ويحك الدالة على قبح الفعل فقد كانت تلك المصاهرة فيها الكثير من الغبن لحدراء، وتلك القبيلة التي لم تعرف عن الفرزدق إلا الأفعال القبيحة والأخلاق الذميمة، ويضيف ألم تجد في الناس لتصاهره إلا الفرزدق، وفي هذا كله نجد جريراً يسخر من الفرزدق، ومن قبيلته مثبتاً عليهم مهنة القيامة التي أصبحت حقيقة، وصفة تتصف بها القبيلة.

ونلاحظ أن تكرار كلمة زيق في الأبيات السابقة تحمل في طياتها هدفاً ومغزىً هو تأنيب زيق وإحاقه ذنباً نتيجة دفعه ابنته إلى هذا الصهر الضعيف الحسب والنسب، وبمصاهرته يرتقي مكاناً فيه من السمة، والرفعة لا يستحقهما الفرزدق؛ مما ترك في نفس زيق عظم الحسرة وعظم الندم على هذا النسب هذا من جانب، ومن جانب آخر استغلاله وسيلة للنيل من الفرزدق وهجائه بسخرية لاذعة. وفائدة ثالثة فائدة الاستمتاع الذي ينتاب القارئ فيغريه على استمرار متابعة مايقدمه جرير من تكرار في صورته الهجائية. وقد نبهت نازك الملائكة لأهمية التكرار إذ "يضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها"⁽¹⁾

ومن الملاحظ عند القراءة في ديوان جرير أنه قد برع في تصوير الفرزدق بالقين، والتفنن في تغيير نمط هذه الصورة، وقد استطاع جرير أن يحدث ذلك خلال تنويع أساليب الخطاب، وتكرير هذه الأساليب.

ومن الطرافة أن لفظة القين التي أطلقها جرير على الفرزدق لم يثبتها على الشعراء الذين صاولهم جرير ذلك أنه "كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً"⁽²⁾. ولم يطلق هذه الصفة إلا على البعيث مقروناً مع الفرزدق . يقول:⁽³⁾

(1) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، 1981، ص276،

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص 232.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص407.

تَرَكْتُ لَكَ الْقَيْنَيْنِ قَيْنِي مُجَاشِعٍ وَلَا يَأْخُذَانِ النَّصْفَ شَتَى وَلَا مَعَا⁽¹⁾
وبالإشارة الأخرى هي قول جرير مؤكداً ترك هجاء البعيث لانشغاله بهجاء
الفرزدق. يقول: ⁽²⁾

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَيْنُ الْعِرَاقِيُّ بَاسْتِهِ فَرَعَتْ إِلَى الْقَيْنِ الْمُقَيَّدِ فِي الْحَجَلِ⁽³⁾
ونجده مكرراً الصورة، إذ يقول: ⁽⁴⁾

دَعُوا الْمَجْدَ إِلَّا أَنْ تَسُوفُوا كَزُومَكُمْ وَقَيْنًا عِرَاقِيًّا وَقَيْنًا يَمَانِيًّا⁽⁵⁾
يُرى من خلال الأبيات السابقة "أن جريراً لم يفرد البعيث بالقين وحده، بل كان
الفرزدق حاضراً معه وهذا يعني أن إلحاق جرير لقب القين بالبعيث لم يكن إلا لأنه
مجاشعي" ⁽⁶⁾

ويعلق أبو عبيدة على البيت الشعري الذي قال فيه جرير قيناً عراقياً وقيناً
يمانياً "وقوله قيناً عراقياً يعني البعيث، وقيناً يمانياً يعني الفرزدق، وإنما قال ذلك
لموضع منازلهم" ⁽⁷⁾

إن تصوير جرير للفرزدق بأنه قين وبعد أن شهّر بها وأبحر؛ لإثبات صفة القيامة
عليه. فقد تترك هذه الصورة قلقاً وتوتراً واستسلاماً في نفس الفرزدق، وربما
يصدقها على أنها حقيقة و أنه قينٌ فعلاً.

وفي هذا الموضوع يعلق خليل الرفوع قائلاً "لم يرد في شعر الفرزدق أي رد
على فكرة القين التي وصمه بها جرير، وهذا يعني أن نقائص الفرزدق كانت ناقصة
إذ إنَّ النقائص تتطلب نقض هذا اللقب، ومرادفاته المختلفة، وأغلب الظن أن
الفرزدق لم يدرأ عن نفسه هذه التهمة الشعرية؛ لأنه يعلم أن الفكرة محض افتراء

(1) القينان: هما الفرزدق والبعيث. النصف: العدل

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص556.

(3) القين العراقي البعيث.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص711.

(5) الكزوم: الناقة التي ذهبت أسنانها هرماً. القين اليماني: الفرزدق.

(6) الرفوع، الفرزدق قينا في شعر جرير، دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دلالاتها، ص57.

(7) أبو عبيدة، شرح نقائص جرير والفرزدق، ج1، ص351.

خيالي تصوري لا تستند إلى واقعة تاريخية، والقارئ في ديوان الفرزدق يلحظ أنه لم يبتكر لقباً يوازي اللقب الذي وصمه به جرير، وأصبح دالاً عليه وحده⁽¹⁾

ومن صورهِ الطريفة التي تثير الغرابة والعجب في جرير أنه يستطيع تسخير قدراته الفنية ومواهبه حينما أراد فنجه الطبيب المعالج تارة، وهو الداء القاتل تارة أخرى يشبه الفرزدق وإذا هو مصاب بأشد الأمراض فتكا وأخطرها وهو الجرب فيعالجه حتى يشفى ثم يسقيه السم مرة بعد مرة. يقول⁽²⁾

وَدَاوَيْتُ مِنْ عَرِّ الْفَرَزْدَقِ نُقْبَةً بِنَفْطٍ فَأَمْسَتُ لِأَيْخَافٍ نُشُورُهَا⁽³⁾
وَأَنْهَلْتُهُ بِالسَّمِّ ثُمَّ عَلَّتُهُ بِكَأْسٍ مِنَ الذِّفَّانِ مُرّاً عَصِيرُهَا⁽⁴⁾
وَأَبَّ إِلَيَّ الْأَقْيَانَ الْأُمُّ وَأَفِدِ إِذَا حُلَّ عَنْ ظَهْرِ النَّجْبِيَّةِ كُورُهَا⁽⁵⁾

يشير جرير في قوله هذا أنه كوى الفرزدق على جربه الذي في أنفه فلم يعد يخشى انتشار دائه فربما كان جرير يشير إلى قصائده التي هجا بها الفرزدق وأذله بها ثم إنه يسقيه جرعات من السم مرة بعد مرة فهو يصور هجاءه لخصمه بالسم الذي يسقيه له فهو كلما زاد هجاء خصمه زادت قوته وضراوته وفتكه في الخصم ثم أنه لا يكون تردده ومجيئه إلا على الأقيان الذين هم على شاكلته فهو دائماً مهان قينا من الأقيان مصاب بالخيبة والضعف الشديد، وهو على ظهر دابته أو إذا نزل مطيته، وحل كورها عنها.

5.2 صورة الدليل:

يعمد جرير دائماً على عادته في التنقيب عن الصور الهجائية التي يرمي بها خصمه، فنجه الفرزدق في صورة هجائية تعد في غايتها أعلى غايات

(1) الرفوع، الفرزدق قينا في شعر جرير، دراسة في مصدر الصورة وتاصيل دلالاتها، ص 57.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 327.

(3) العرّ: الجرب. النقبة: البقعة التي على الأنف. نشورها: انتشارها

(4) أنهل: سقى. العلل: الشرب الثاني. النهل الشرب الاول. الذيفان: شراب شديد المرارة

(5) النجبية: المطية

الاستهزاء والتهكم، فيصور الفرزدق بصورة الذليل الذي لا يجلب لقومه إلا الشر والخسة والإذلال.

يقول: (1)

وَكُنْتَ إِذَا اغْتَرَبْتَ بَدَارِ قَوْمٍ لأحسابِ العشيِّرةِ شرًّا والي
تُجَدِّعُ مَا أَقَمْتَ بِهَا ذَلِيلًا وَتَخْزِي عِنْدَ مَنْزِلَةِ الزِّيَالِ (2)

فقد صور جرير الفرزدق بأنه لا يجلب لقومه إلا الخزي والعار حيثما ارتحل وأين وجد مع هذا كله يصوره بالصورة (الكاريكاتيرية) فيجعل من أنفه المقطوع والذل الذي يحيط به صورة تخزيه، تثير الضحك، وتجلب له الإهانة، وتفقد العزة والكرامة، ثم إنه لا يأوي إلا على الأقيان الذين هم على شاكلته كما يصوره بصورة ضعيف الهمة والإرادة، لا يعتمد على نفسه يطلب من غيره العون والمساعدة.

يقول: (3)

كَانَ الْفَرَزْدَقُ إِذْ يُعْوِذُ بِخَالِهِ مِثْلَ الذَّلِيلِ يُعْوِذُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ (4)

رسم جرير الفرزدق في صورة هجائية مقرفة وإذ هو بالذليل الفاقد للعزة والكرامة مهان يطلب من القرابة العون والمساعدة فهو جالس جلوس الضعفاء متحملاً للإذلال والإهانة التي انسربت إليه من هجاء جرير له.

تُظهر ريشة جرير الفنية الفرزدق بصور فاضحة مصاب بالكلل لا يستطيع الحراك جيداً مقيد ولكن ليس قيده الحجل هذه المرة، بل الخوف والصدع الذي أصابه من هجاء جرير.

يقول: (5)

فَلَمَّا أَحْتَبَيْتَ وَأَنْتَ الذَّلِيلُ قَعَدْتَ عَلَى اسْتِ أَمْرِي قُعْدُدُ

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 517.

(2) تجدع: يقطع انفك. الزيال: التباعد مابين الفخذين

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 539.

(4) القرملة: شجر ضعيف لا شوك له.

(5) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 156.

يلاحظ هنا براعة جرير في التصوير فقد تمكن جرير من أن يجعل الفرزدق في صورة مقيد لا يستطيع المشي مثل الأدميين، بل جعله يحبو ولكن ليس كحبو الطفل الذي يجلب إلى ناظره السعادة والمرح، بل يحبو حبو الجبان الذي أُصيب من شدة جبنه وخوفه بعدم القدرة على الوقوف وهو قاعد على استه، ذليلاً ضعيفاً، وهذه إشارة تدل على ما يبدو أن قصائد جرير الهجائية قد أقعدت الفرزدق، ولم تعد له القدرة على المواجهة الفنية أو التحرك والهرب منها فأقعدته ذليلاً ونالت منه كل منال. وكيف لا وجرير الذي صورّ قصائده بالوحوش البرية التي تقضي على الخصم وتسبقه قبل أن يحاول ردها. يقول: (1)

وَمَا بِكَ رَدًّا لِلأَوَابِدِ بَعْدَ مَا سَبَقْنَ كَسَبِقِ السَّيْفِ مَا قَالَ عَاذِلُهُ (2)
إن جريراً أفاد من الثقافة الشفهية للعرب وهي الحكم والأمثال، ووظفها في أشعاره بصورة تبعث على الخلق والإبداع بعيدة عن الابتذال والصور المكرورة ومن ذلك تشبيهه قصائده بالوحوش البرية التي لن يستطيع الفرزدق ردها. وقد سبقت إلى الفرزدق وقضت عليه كما سبق السيف العذل في المثل العربي. فجرير يشير هنا إلى المثل القائل " سبق السيف العذل" (3). وبهذه القدرة الإبداعية التي يمتلكها جرير والثقافة المتنوعة جعلت منه شاعراً فذاً متمكناً من هزيمة الخصوم، وإحاقه بهم أبشع الصور الهجائية وهذا جرير فسلطة اللسان بندقيته والهجاء رصاصته.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 580.

(2) الأوابد: الوحوش البرية.

(3) النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ت (518 هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق:

محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النصر، دمشق، بيروت، د.ت، د.ط، ج 1، ص 197.

الفصل الثالث

صورة قبيلة الفرزدق وأهله

سخر جرير من قبيلة الفرزدق وأهله وراح يهجوهم بصور هجائية مختلفة ومن جوانب متعددة. يطرق جرير عالم الحيوان ويجيء بالصور الساخرة في غاية الإهانة؛ فيجردهم من أشكال الآدمية، والروح الإنسانية، ويلصق بهم طبيعة الحيوان. وبعد النيل من شكلهم الخارجي ينتقل إلى دواخلهم فيصفهم بأخزى الأوصاف من خور القلوب وضعفها وإنهم ذووا القلوب الميتة، ولا تلبث أن تسلب تلك المثالب مالهم من سمات الشرف والعفة والكبرياء. ولم يقف جرير عند هذا الحد بل نجده يلتفت إلى عالم النبات فيتخير ما هو الأضعف منها، والأسرع تكسراً، أو تلك النباتات التي بسبب لينها يغير الإنسان من أشكالها بعد طيها كالخيزران وغيره، فالبراعة واضحة في صورته ومؤثرة تلفت نظر المتلقي، وتجعله يتوقف عندها متأملاً، كما تؤثر في الخصم وتنال منه.

غمز جرير قبيلة الفرزدق وأهله بأبشع الأوصاف من صور الحيوان والنبات، واختياره العبارات وسياقاتها المختلفة التي تنشي بضعف القلب، وقلة الهمة والقبول بالهوان مثل: الماخور والنخبة واللؤم وغيرها من الدلائل التي سار بها جرير، وأوجع فيها بني مجاشع. وراح جرير في تقبيح خلقهم، وتشويه صورهم بشكل غريب، وبأسلوب مميز في هجاء بني مجاشع. هو أسلوب شعراء النقائص في العصر الأموي ومن قبله العصر الجاهلي، فالشاعر لا يتحدث عن نفسه قَدْرما يتحدث عن قبيلته التي ينتمي إليها نسبه، وهو لا يعيب خصمه بنقائضه الذاتية قدرما يطعنه في أبائه وأجداده (1).

1.3 الصورة الحيوانية

يتقن جرير في إيجاد الصور الحيوانية، فهو يختار لخصومه بني مجاشع الصور الأكثر تحقيراً لهم، ويصورهم بأرذل الدواب وأحقرها نجاسة يقول: (2)

(1) أحمد فتوح، الشعر الأموي، ص 107.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 672.

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فَنَبَهُهُمْ قَدْرٌ لَمْ يَنْمَ
فَيَا قُبْحَهُمْ فِي الَّذِي خُوْلُوا وَيَا حَسَنَهُمْ فِي زَوَالِ النِّعَمِ
تخير جرير أبشع الحيوانات وأخسها، وجعلها صوراً لمناوئيه وأعدائه وهي
صور قاسية تشي إلى أدنى الانتكاسة والإذلال، و أفقدهم المكرمات، وانتزعها منهم
انتزاعاً واستبدالها بالقبح والتبذل، وإزالة النعم عنهم. يستمر جرير في رشق خصومه
بصوره الهجائية فقد يأخذ جرير من حادثة الزبير فتنةً يفتنُّ بها فيصورهم بالحيوان
الخمل الذي لا يفارق جحره إلا ليلاً، الحيوان الأكثر تحقيراً بين الحيوانات المفترسة
فهو لا يقبل عند الأكل إلا على الجيف يقول: (1)

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْحَوَارِيِّ جَارِكُمْ: أَرْغَوَانَ تَدْعُو لِلجِوَارِ وَضَوْطَرًا (2)
تَرَاعَيْتُمْ يَوْمَ الزَّبِيرِ كَأَنْتُمْ ضِبَاعُ مَغَارَاتٍ يُبَادِرْنَ أَجْعُرًا (3)

يأخذ جرير هذه الحادثة، ويصورها في خياله فيجعل من خلالها بني مجاشع
فإذا هم أشد الناس غدراً، ويرميهم بأشد الصور قساوة في الهجاء مصوراً الإذلال
الذي لحق ببني مجاشع يشهد عليهم قريشاً، فيقول: إن القريشيين عجبوا أن يلجأ ابن
الزبير إلى آل مجاشع، وقد أثار عنهم الغدر والامتناع عن حماية الجار المستغيث؛
فيجعلهم بصورة، مقرزة يصرخون كالضباع المقيمة في جحورها وكهوفها ذليلة
تشتم برازها.

يستمر جرير في إبداعه فخياله الخصب يمدّه بالصور الغريبة التي تغري المتلقي
وتجعله يقبل على سماعها، فهو يصور بني مجاشع بصور حيوانية يشيبيها الخمول
والتقاعس.

يقول: (4)

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 296، 297

(2) بنو رغو، بنو مجاشع: كان مجاشع خطيباً، فسمعت كلامه امرأة بالموسم فقالت: كأنه
يرغو فسمي بهذا. أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص243. ضوטר: الضخم
اللثيم، لسان العرب مادة:ضطر .

(3) تراغيتم من رغا الضبع: صاح.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص677.

مِنْ كُلِّ مُنْتَفَخِ الْوَرِيدِ كَأَنَّهُ بَغْلٌ تَقَاعَسَ فَوْقَهُ خُرْجَانٍ
 فهذا الهجاء البارع الذي يعتمد على الصور فيصور الشخص من بني مجاشع
 وكأنه منتفخ الوريد مترهل في لحمه نتيجة الانتفاخ في الأوردة فهو كالبغل الذي لا
 يصلح إلا للعمل وحمل الأثقال، فهذه اللغة الشعرية السهلة الواضحة التي صاغها بها
 جرير في البيت السابق وغيره من الأبيات، تشير إلى قدرة جرير الفنية في صياغة
 الألفاظ السهلة، وهي تستهوي المتلقي لها ولا شك أن هذه اللغة التي شكلها جرير
 هي نفسها لغة العامة .

ومما لا شك فيه أن جريراً بارع في إنتاج الصور الهجائية فعند تصوير
 خصومه بأثقل الحيوانات وأخزاها كالخنازير والضباع فهو ينظر إلى القوارض من
 الحيوانات، وإذ هم بصورة الفأر ذات الشنب المقرز، معيرهم بفقيرة زاعماً أنهم
 أولاد إماء يقول: (1)

بَدَا شِبُهَ الزُّبَابَةِ فِي بَنِيهَا وَعَرِقٌ مِنْ قُفَيْرَةٍ غَيْرُ نَامِي (2)
 فَإِنَّ مُجَاشِعًا فَتَعَرَّفُواهُمْ بَنُو جَوْحَى وَخَجَجَ وَالْقِدَامِ (3)

يصور جرير خصومه، وإذا هم شبه الزبابة، وكأن هذه الصورة قد اكتسبها
 وراثياً من فقيرة ويؤكد أن مجاشعاً معروفون عندما يراهم الناس فهم أولاد إماء ومن
 خلال هذه الصورة المقززة بأنهم الفأرة، ومن عرق غيرنام فهم ضعفاء من جهة،
 ومنظرهم ليس جميلاً، ثم التفت إلى الأنعام، واقتبس منها صوراً غمز بها خصومه
 فجعلهم كالثيران يقول: (4)

لَا تَقْخَرَنَّ إِذَا سَمِعْتَ مُجَاشِعًا يَتَخَاوَرُونَ تَخَاوَرَ الْأَثْوَارِ

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 601.

(2) الزبابة: فأرة ذات وبر كثير في وجهها.

(3) جوحى وخجج والقدام: أسماء إماء.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 388.

فقد جعل من بني مجاشع وإذا هم أثواراً خواراً متهاكّة، وأصواتهم عالية فهم كالثيران في بهيمتهم وحمقهم كالثيران بأصواتها وتخاورها فهو يجعلهم بصورة ما تقوم به من عمل دلالة على براعته وحيله الفنية والفتنة التي يمتلكها فيقول: (1)

غَرَوَا بَعْقَدِهِمُ الزَّبِيرَ كَأَنَّهُمْ أَثْوَارُ مَحْرَثَةٍ لَهْنٌ خَوَارُ
 صورهم بأنهم تخلوا عن الزبير رغم دفعهم له على القتال فخذلوه، وكأنهم الأثوار التي لا تصلح إلا للحراثة والكد والعمل، فقد سلب منهم إنسانيتهم، وأصق بهم صفة البهيمة العجماء وعملها، فهي مفيدة مقتادة إلى أي مكان يراد به، مسلوية الإرادة ليس لها إلا الصياح.

يخرج جرير مفاجأته دائماً كعادته ينهك خصومه بتتبعهم ويختار لهم صوراً يشتمها من خياله الفذ فيصورهم وكأنهم أبل ويقول: (2)

كَالنَّيْبِ خَرَمَهَا الْغَمَائِمُ بَعْدَمَا تَلْطُنَ عَنْ حُرْضٍ بَجَوْفِ أُثَالِ (3)

صور جرير خصومه بصور هجائية وإذا هم بالنوق المسنة التي لا تصلح للحم أو اللبن فهي تتعب مالكاها لهرمها وتقدمها بالعمر كما أنها مخرومة الأنوف سهلة الانقياد. فجرير أبصر في بيئته وعاش معتركها وعرف عنها الكثير فنجدته دائماً ينتج صورته من بيئته، وما تكتنفه من الحيوانات والنباتات والماء والصحراء يعرف خيرها من فسادها ينتقل جرير إلى صورة حيوانية جديدة وهو كعادته يتخير لشأنه من الحيوانات أقلها قيمة وأدناها فنجدته يتخير لبني مجاشع من الماشية صورة أنثى الماعز يقول: (4)

كَأَنَّكُمْ بِأَمْعَزٍ وَارِدَاتٍ أَزْبَ الْمِنْخَرَيْنِ أَبَا رِخَالِ (5)

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 242.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 562.

(3) النيب الواحدة ناب: الناقة المسنة. خرمها شق وترات أنفها. الغمائم الواحدة غمامة: شيء من خرق يجعل في أنف الناقة، وما يشد به فم البعير. تلتن: سلحن. الحرص: فساد المعدة. اثال: موضع.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 519.

(5) الرخال، الواحدة رخل: الأنثى من الضأن.

جرير بصير كعادته في اختيار الصور فنجده هنا يختار من الماعز أقل قيمة، وأقل رغبةً للبدوي في جنيها إذ ما قورنت بالغنم؛ لأن جريراً عرف البداوة وخبرَ حياتها، وعرف حيواناتها فتصويره لبني مجاشع بهذه الصورة قد تكون عند الشاعر ذات دلالة خاصة أي بني مجاشع لا قيمة لهم، ولا ثمن إذا قرنوا بأمثالهم. كما يصور جرير خصومه وكأنهم فراشات، ولكن ليس الفراش الذي يُحلق بين الأزهار في حديقة غناء يقول: (1)

أَزْرَى بِحِلْمِكُمُ الْفِيَّاشُ فَأَنْتُمْ مِثْلُ الْفَرَاشِ غَشِينَ نَارِ الْمُصْطَلِي
 يصور جرير الخصم، وإذا هم بأصحاب العقول الصقيعة عديمة الذكاء والحلم ضعفاء القوة وهي بعيدة كل البعد عن الفطنة رجاحة العقل ، وإنهم يفاخرون بلا فخر فهم أشبه ما يكون بالفراشات التي تحوم حول مصطلى النار في ليلة ظلام دامس فتصرع بها.

2.3 صور النباتات

يرمي جرير بسخطه على بني مجاشع فيصورهم وإذا هم بأضعف الحيوانات وأبشعها منظرًا، ثم يكمل مسيرته متمماً فكرته ملتفتاً إلى عالم النبات فيصورهم تصويراً وإذا هم بنباتات تدركها الحواس. فيتخير لهم صوراً من النباتات المعروفة في ضعفها ومن الأشجار أقلها صلابة، وأكثرها تكسراً يقول: (2)

إِنَّا لَنَعْرِفُ مِنْ نَجَارٍ مُجَاشِعٍ هَدَّ الْحَفِيفِ كَمَا يَحِفُّ الْخِرْوَعُ (3)
 يؤكد جرير لخصومه بأنه يعرفهم من الأصل فهم حفيف أوراق الشجر في عويلهم ولا خير فيهم فيصورهم وكأنهم شجر الخروع وهو من الشجر الرخو الذي تعبت به الريح حتى الخفيفة منها فيسمع له جرس من تمايله إلى كل جهة، وهو

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 539.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 419.

(3) نجار: الأصل. الحفيف: جرس أوراق الشجر.

مجوف، وضعيف العود، يستمر جرير في هذا الاتجاه موجهاً جام غضبه صوب خصومه لا يتركهم حتى يستلب عقولهم مشيراً إلى سواعدهم. يقول (1)

وَلَا وَأَبْيِكَ مَا لَهُمْ عُقُولٌ وَلَا وَجِدَتْ مَكَاسِرُهُمْ صِلَابًا

يصورهم وكأنهم فاقدو الأحلام والعقول، لا تدبير لهم ولا رأي، وأنهم

خوارون تتكسر فئاتهم، ولا صلابة لهم ولا عزم ولا قوة، يكسرون كما يكسر العود

الخش من الشجر الضعيف. يصور جرير بني مجاشع وبنعتهم بالقويون شاماً مشهراً

بجبنهم يقول عنهم شر القول وهو الجبن، ومصورهم بأوهن النباتات يقول: (2)

تَلْقَ الْقُيُونَ دُونَ ذَلِكَ الْعُوقَا يَالَ تَمِيمٍ مَن يَخَافُ الْبَرُوقَا (3)

صوّر جرير بني مجاشع في البيت السابق بأنهم قيون جبناء يخاطب آل تميم

وكان له حاجة في نفسه يحاول إخراجها من صدره فوجه نداءه إلى آل تميم حتى

يطلعهم بخبر بني مجاشع الذين جعلهم في صورة العشب الضعيفة التي تظهر عندما

تتلبد السماء بالغيوم سهلة القطع هشّة وبهذه الصورة فقد نال من خصمه، ووقف لهم

على قارعة الطريق، وأخبر عن سرهم الكامن فيهم وهو جبنهم .

ومن صور النباتات التي غمز بها جرير خصمه وصورة يقول: (4)

أَلَا يَا لَقَوْمٍ لَا تَهْدِكُمْ مُجَاشِعٌ فَأَصْلَبُ مِنْهَا خَيْزُرَانٌ وَخِرْوَعٌ (5)

نرى جريراً قد أحرز صوراً إبداعية هزّ بها قوم مجاشع كاشفاً ضعفهم ليس عند

تميم فقط، بل بين القبائل جميعاً فقد صور وبرع في تصويره عندما جعلهم عبارة

عن خيزران شجرمرن يطوى قليل الصلابة. وكأنه يقول: إنه يستطيع أن يطويها

حيث أراد، وإلى أي جهة فهي مرنة فراغ داخلها فاختيار جرير للخيزران؛ لأنه

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 94.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 490.

(3) العوق: الجبان، لسان العرب مادة: عوق. البروق جمع بروقة: شجرة ضعيفة تعيش بأدنى

ندى يقع من السماء، لسان العرب مادة برق.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 445.

(5) لاتهدكم: هنا بمعنى أخاف.

قادر على ليها وهو بهذه الصورة الهجائية قد يكون تصويره هذا أنه يستطيع إذلال آل مجاشع متى وكيفما يريد.

يختطف جرير من صور النباتات أضعفها، وأقلها قوة فيقول في بني مجاشع: (1)

بُنُو عُسْرٍ لَا نَبْعَ فِيهِ وَخَرُوعٍ وَزِنْدَاهُمْ أَثْلُ تَتَاوَحَ خُورَهَا (2)
يصور جرير الخصم شجراً ضعيفاً هشاً ليس فيه من النبع شيء وهو بهذه الصورة الهجائية يصور الخصم أنه من أصل وضع وكأنه مشتق من النبات الخائر الواهي، وأن سواعده من الأثل الذي تعبت به الريح الخفيفة. وعلق أبو عبيدة على البيت السابق قال: قوله تتاوَح يعني تقابل، قال والأثل إذا أصابته الريح سمعت له صوتاً شديداً فلذلك اختاره على غيره (3)

يُظهر جرير براعته الفنية في البيت السابق فقد صور خصمه بأضعف نبات، ولم يصورهم بالشجرة الكبيرة المُعَمَّرَة، بل إنه اتخذ من الشجر أضعفه ليلصق به قوم الفرزدق، فبراعة جرير في تخيره من النباتات أضعفها قوة وهشاشة وأبعادهم عن الأشجار الفارعة فهو دلالة على ذلهم وضعفهم. كما أن شجرتهم ليست نبعا؛ أي أن أصلهم ليس ربيعاً صلباً، كما أن من تحدروا منه لم ينجبوا، ولم يرتفع شأنهم.

يغوص جرير في هذا الباب من الهجاء فيصور بني مجاشع بجبنهم وخورهم يقول (4)

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعاً لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُورِ لَطَارُوا (5)
قَدْ يُوسَرُونَ فَمَا يُفَكُّ أَسِيرُهُمْ وَيَقْتَلُونَ فَتَسَلُّمُ الْأَوْتَارِ

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 326.

(2) العشر: شجر هش رخص يقتدح به. النبع شجر صلب تؤخذ منه القسي. الأثل: شجر ضعيف خائر.

(3) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 701.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 244، 245.

(5) الخُور: ضَعْفٌ وانكسار، لسان العرب مادة: خور

وَيُفَايِشُونَكَ وَالْعِظَامُ ضَعِيفَةٌ وَالْمُخُّ مُمْتَخَرُ الْهِنَانَةِ رَارٌ⁽¹⁾

يستَهزئ جرير من بني مجاشع مؤكداً ضعفهم، مخبراً عن خفتهم فيضعهم في صور هجائية مشينة مصوراً هزلهم، وقلة شأنهم وهو يقلل من قدرهم وقوتهم بأنهم لا شيء فهم يكادون لشدة ضعفهم أن يطيروا فيما لو نفخت بهم نفخاً يسيراً، ووجه الازدراء في ذلك أنهم لا يقاتلون و لا يصمدون في الحرب، بل إنهم يولون ويهربون. كما علق أبو عبيدة على البيت الثاني من الأبيات السابقة قائلاً: "من ضعفهم لا يفك أسيرهم من بخلهم، ولا يطلبون وتراً فيدركونه"⁽²⁾ إنهم فهم ضعفاء يعجزون عن فك أسراهم وتحريرهم ولا ينهضون للتأثر؛ لعجزهم وتخاذلهم.

يتفنن جرير في تنوع صور هجائه التي أطاحت بالخصوم فنجده مؤكداً أنه في هجائه هو الذي يبدأ متحدياً متفاخراً بحسبه ومجده. ذلك لما يملكه من قدرة فنية وموهبة في الإبداع يقول:⁽³⁾

فإني لهاجيكُم وإني لراغبٌ بأحسابنا فضلاً بنا وتكرماً
سأذكرُ منكم كلُّ مُنتخبِ القوي من الخور لا يرشي حفاظاً ولا حمي⁽⁴⁾

يؤكد جرير بأنه هو الذي يبدأ بالهزاء رغبةً منه، وتحدياً فهو بهجائه استطاع إن يهزم شعراء كثر فهجاؤه بمنزلة "اللة تصوير يلتقط بها ما يراه مناسباً له، ويخدمه في القضاء على خصمه، بل مثل "ريشة فنان مبدع تجسم، وتضخم كيف ما تريد لتبلغ من المهجو الغاية"⁽⁵⁾. وقد حقق جرير مبتغاه فقد صور بني مجاشع في صور جعلهم فيها يناخبة القلوب ضعيفة، مصابين بالوهن والخفة، ليس لهم ثقل.

(1) الهنانة: بقية المخ، لسان العرب مادة هنن.

(2) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص972.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص650.

(4) مُنتخبٌ، ومُنخوبٌ، ونخبٌ، وينخوبٌ، ونخبٌ، والجمعُ نخبٌ: جبان كأنه منتزع الفؤاد؛ أي لا فؤاد له، لسان العرب مادة: نخب .

(5) انظر: الدهان محمد سامي، فنون الأدب العربي "الهجاء"، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ط3،

من الصور التي تدلّ على فساد الخصم وسوء أخلاقهم وفسادها أنهم يقبلون الهوان، ويتحملون المذلة، ويصبرون على الضيم لا تستنهمهم غيره. يقول: (1).

عَصَارِيْطُ يَشُوْنُ الْفَرَاْسِيْنَ بِالضَّحَى إِذَا مَا السَّرَايَا حَتَّ رَكْضًا مُغْيِرُهَُا (2)
يصورهم بأنهم ذوو بطنة وجشع، لا خير فيهم حتى في طعامهم، فهم يشوون أخفاف البعران ويأكلونها، في الصباح ولا تستنهمهم غيره، أو عزيمة للحرب، وهم قاعدون قعود الثقلاء لا يبرحون أمكنتهم.

ويعلق أبو عبيدة على البيت السابق يقول: "ولا يأكلون إلا شر ما في الجزور، وقوله إذا ما السرايا حثّ ركضاً مغيرها، يقول إذا ركب الناس لغارة أو فزع لم يركب معهم لأنهم ليسوا بأصحاب حرب ولا خيل" (3).

كما يصفهم بأنهم كتلة من اللحم ليس على أيديهم عظم؛ بل لحم متراكب فوق بعضه، لم يتعودوا إمساك السيوف والقنا، بل يجيدون الأكل فقط. يقول: (4).

مَتَى تَغْمَزُ ذِرَاعَ مُجَاشِعِيٍّ تَجِدُ لَحْمًا وَلَيْسَ عَلَى عِظَامِ
فَمَا صَدَقَ اللَّقَاءَ مُجَاشِعِيٍّ وَمَا جَمَعَ الْقَنَاءَ مَعَ اللَّجَامِ
تُوَلُّونَ الظُّهُورَ إِذَا لُقِيْتُمْ وَتُدْنُونَ الصُّدُورَ مِنَ الطَّعَامِ

لا شك أن في الأبيات السابقة صور ذات دلالات خاصة فهو يصورهم بضخامة الأبدان فيكونون ذوي هيئات وأشكال مخيفة خاصة إذا أمتلأت أجسامهم لحماً وانتفخ جوفهم؛ مما يؤدي ذلك إلى قلة حركتهم، وكسلهم وهم عند اللقاء في الحرب لا شيء فقد سحب من تحتهم بساط الفروسية، والإقدام على القتال فهم لم يحملوا السيوف والرماح ولم يمسكوا بعنان الخيل ويولون الأدبار أثناء الزحف فلا قبل لهم بملاقاة العدو تجدهم يدنون مثلثفين متدافعين على الطعام وقد أصبحوا ثقلاء لا خير فيهم، فهم لا يهبّون إلى نصره مظلوم، ولا يسعون إلى إعانة محتاج أو حتى

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 359.

(2) العَصَارِيْطُ جمع عَصْرُطٌ وَعُضْرُوطٌ: التَّبَاعُ وَنَحْوُهُمْ، لسان العرب، مادة: عَصْرُطُ

(3) أبو عبيدة، شرح نفائض جرير والفرزدق، ج1، ص 168.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 621.

الدفاع عن أنفسهم، ولا يهبون إلى أمر ما يطرأ فجأة من الأمور التي تعج بها حياة العرب الاجتماعية فهم منحطون متناقلون عن القيام بالواجب.

يدأب جرير في نشر الإشاعات بين الناس، ولا يترك هذا الادعاء الهجائي حتى يجعله بمنزلة حقيقة لازمة في الخصم وإقناع تام لدى المتلقي على ما يقوله في المهجو حقيقة بأسلوب مميز لا يحتاج إلى تفكير من قبل العامة في فهم المعاني والألفاظ، وما يلحقه من ألقاب يرمي بها خصمه.

3.3 صورة اللؤماء

يشيد جرير بقصائده الهجائية فيجعل منها سلاحاً فتاكاً يقذف بها خصومه، ووسيلة إعلامية فاضحة ينشر من خلالها صورته الهجائية المزرية التي يقذف بها خصومه فتنتقل إلى مسافات بعيدة يعجز القيام بها، الشعراء الباقون يقول: (1)

إِنَّ اللَّئَامَ بَنِي اللَّئَامِ مُجَاشِعٌ وَالْأَخْبَثُونَ مَحَلُّ كُلِّ إِزَارِ
سَارَ الْقَصَائِدُ وَاسْتَبَجْنَ مُجَاشِعاً مَا بَيْنَ مِصْرَ إِلَى جَنُوبِ وَبَارِ (2)

يصف الشاعر بني مجاشع باللئام وقد توارثوا اللؤم من الآباء إلى الأجداد؛ فأصبحت صفة عالقة بهم من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم فهم لا يعرفون من الصفات التي يحملها الرجال الأشداء حتى يكونوا من أسياد القبائل، مثل: قبيلة جرير المانعين في الحرب. وقد ارتاد جرير على قبيلة مجاشع، واستباحهم في قصائده التي ذهبت حاملة أخباراً وأسراراً فاضحة لبني مجاشع كاللؤم والخبث والندالة وكل صفة سيئة ألحقها بهم جرير فسارت في طريقها كما تسير الغيوم في قطع المسافات البعيدة فذهبت ما بين مصر والأماكن التي تقطنها القبائل يتناقلها الرواة؛ لأنها قصائد لشاعر مشهور وهو جرير على العكس من الفرزدق وقد انتقلت قصائده إلى وبّار التي يقال عنها إنها مساكن الجن فهي أصبحت في كل مكان لا يمكن إرجاعها وسارت كل مسار في البلدان.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص388.

(2) وبّار: أرض غلب عليها الجن فهي لا تسلك. انظر: أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج2، ص502.

يجعل جرير من صفة اللؤم في بني مجاشع متوارثة لا سبيل للخلاص منها
يقول: (1)

قَوْمٌ تَوَارَثَ أَصْلَ اللَّؤْمِ أَوْلَهُمْ فَمَا لَهُمْ عَن دِيَارِ اللَّؤْمِ تَحْوِيلُ
مُخَالِفُو اللَّؤْمِ آ لَى لَا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يُرَدَّ عَلَى أَدْرَاجِهِ النَّيْلُ
قَدِ ارْتَدَوْا بِرِدَاءِ اللَّؤْمِ وَاتَّزَرُّوا وَقُطِّعَتْ لَهُمْ مِنْهُ سَرَائِيلُ (2)

يقول الشاعر: إن قوم الفرزدق قد توارثوا اللؤم من الآباء والأجداد فأصبحت القبيلة تعرف به فهو ظاهر عليهم، وليس باستطاعتهم الانفكاك منه، ولا باستطاعتهم أن يبعثوا عن تلك الصفة القبيحة المكروهة عند العربي الأصيل الشريف فهم مستمسكون به وماسك بهم، ويعظون عليه بالنواجذ وكيف لا وهم عقدوا المواثيق، وتحالفوا معه على خلاف البشر جميعاً. وفي هذه المخالفة المفتعلة ينشط جرير فيلتقط لهم صور هجائية تشيد بقدرته الفنية والإبداعية وعلى أنه صاحب الخيال الفذ فقد ذكر الشاعر نهر النيل لما فيه من مخالفة لطبيعة الأنهار الجارية جنوباً. وفي ذلك قد اثبت على قبيلة الفرزدق صفة اللؤم، فجعله كالثوب لباساً لهم، ولا مناص منه إلا القبول به ما داموا على قيد الحياة.

يصور جرير بني مجاشع ليس لهم قلوب ولؤمهم يزداد يقول: (3)

وَلَوْ فَرَجَّتْ قَصَّ مُجَاشِعِيٍّ لَتَنْظُرَ مَا وَجَدْتَ لَهُ فُؤَادًا (4)
وَلَوْ وَازَنَتْ لُؤْمَ مُجَاشِعِيٍّ بِلُؤْمِ الْخُلُقِ أضعَفَ ثَمَّ زَادًا

يقول جرير إنك لو نظرت إلى أي مجاشعي، وأبصرت داخله لوجدته دون فؤاد، فهو ميّت القلب، ليس له شعور، عديم الفائدة، وأنه جبان فاقد النخوة والحماس، ولم يقف عند هذا الحد، بل يشيد بالغلو بلؤم بني مجاشع، ويقول إنه يبلغ أضعاف لؤم الناس جميعاً ويزدادون عليهم وعلى هذا أخرج جرير بني مجاشع في صورة قبيحة وقد ألبسهم ثوب اللؤم وما يحمل من صفات ذميمة، وقد أظهر هذه الصور

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 507.

(2) السراييل جمع سربال: القميص والدرع، لسان العرب مادة: سربل، ج 11، ص 335.

(3) حاوي، شرح ديوان الفرزدق، ص 169.

(4) القص: زور الصدر

بفراصة فنية جيدة قد تقنع المتلقي، وتشوقه إلى متابعة ما يقدمه جرير من صور هجائية.

يستمر جرير في رسم الصور الهجائية لخصومه فيبعد أن ألبسهم ثوب اللؤم، وضرب في قلوبهم، نجده يصورهم بصور مقززة اخرى، إذ يجعل من اللؤم المسكن الذي تربوا وعاشوا فيه يقول: (1)

وَأَمْكُمُ قَفِيرَةٌ رَبَّيْتَكُمْ بدارِ اللؤمِ فِي دَمَنِ النَّبَاتِ
يذكر جرير أن اللؤم الذي أصاب بني مجاشع لم يكن حدثاً طارئاً مرّ بهم، ويزول بعد فترة من الزمن، بل هو عيشهم الذي يعتاشون عليه، وبيتهم الذي يقطنون. فقفيرة أهم ربّتهم في الأمكنة الشظفة، وأنشأتهم على اللؤم ولا خلاص منه.

استمرّ جرير في هجائه بني مجاشع، ثم إنه لم يترك شيئاً في خذه إلا وقاله فيهم ولا يبرح أحد منهم ألا ويصوره بصور هجائية مقززة يلتفت جرير إلى شباب بني مجاشع فيقول: (2)

مَجَاشِعٌ لَا حَيَاءَ فِي شَبَابِهِمْ وَلَا يَثُوبُ لَهُمْ حُجْمٌ إِذَا شَابُوا
ينفي جرير الحشمة والوقار عن شباب بني مجاشع، وأنهم يبقون دائماً أبداً سفهاء الأحلام لا تطور في عقولهم أو حياتهم، في شبابهم ولا في شبابهم. وصورهم بأنهم فقدوا الحلم والحياء أكانوا شباناً أغراراً أم شيئاً تقدم بهم العمر، ثم إنه يتسرّب في هجائه كأنه الأكسجين يستنشقه كل شخص من بني مجاشع رجلاً و شباباً و نساء.

بعد أن ارتوى جرير، ونال من بني مجاشع شيئاً وشباباً يتجه في هجائه صوب بناتهم فيجعلهن في صور هجائية شديدة الإقذاع يقول: (3)

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 105.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 66.

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 389.

إِنَّ الْمَوَاجِنَ مِنْ بَنَاتِ مُجَاشِعٍ مَأْوَى اللُّصُوصِ وَمَلْعَبُ الْعُهَّارِ⁽¹⁾
يقول جرير: إن المواجهن من بنات مجاشع عاهرات لا يكونن إلا مأوى للسراق
الفاقدي العفة والكرامة، وهنّ يمثلن أيضاً ماخوراً كبيراً وموقعاً لا يجيء إليه إلا
أصحاب الرذائل والبهتان من أجل التمتع بمواقعتهنّ والمسامرة معهنّ، ولا يهتمنّ
لعاذل أو مانع يمنعهنّ ولا ينصتنّ لواعظ أو راشد، ولا مبالاة لهنّ في ذلك فقد أدمن
على الخمر والزنا، وكل عمل قبيح.

يتعرض جرير لهجاء نساء بني مجاشع وفي هجائه يقول:⁽²⁾

إِذَا أَسْفَرَتْ يَوْمًا نِسَاءً مُجَاشِعٍ بَدَتْ سَوْءَةً مِمَّا تُجِنُّ الْبِرَاقِعُ
مَنَاحِرُ شَانَتْهَا الْقِيُونُ كَأَنَّهَا أَنْوْفُ خَنَازِيرِ السَّوَادِ الْقَوَابِعِ
مَبَاشِيمٌ عَنِّ غِبِّ الْخَزِيرِ كَأَنَّهَا تُصَوِّتُ فِي أَعْفَاجِهِنَّ الضَّفَادِعُ⁽³⁾

يصور جرير نساء بني مجاشع، وإذا وجوهنّ قبيحة سود تظهر عندما
يكشفنّ الأحجبة عنها، وأنهنّ مخيفات، ولكن تلك البراقع والأحجبة تمنع من ظهور
تلك الوجوه القبيحة كما أنه صور أنوفهنّ، وكأنها أنوف الخنازير القابعة الهاربة من
الصوت، فتكون لشدة ركضها متعبة فتظهر ذات مناخير واسعة. كما يصورهنّ
بصورة مصابات بالتخمة من الأكل حتى أنك تسمع لأمعائهنّ أصوات نقنقة الضفادع
نتيجة ما أكلنّ من الطعام. وهو بهذه الصور يجعل منهنّ محط نظرة تشاؤم لهنّ من
قبل الناس، وشنه حمله كبرى ضدهنّ فقد سلب جرير منهنّ كل جمال وكمال
معيرهنّ بقباحة الوجه والسمن والخمول والترهل، وكأنه يمنع الناس من طلب
الزواج منهنّ أو حتى الاقتراب لهنّ لما يظهرنّ من أصوات، ولما في وجوههنّ من
قبح وجرير بارع في نشر الخبر وترويجه فلا يتركه حتى أنه قد يجبر المتلقي على

(1) المواجهن جمع ماجنة، والماجنُ والماجنةُ معروفان، والماجن عند العرب: الذي يرتكب المقابح
الموردية والفضائح المخزية، ولا يمضئه عدل عاذله ولا تقرّيع من يُقرّعه، لسان العرب
مادة: مجن.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 455.

(3) المياشم، الواحد مياشم: المتخم. الخزير: دقيق يلقي على ماءٍ أو لبن فيطبخ ثم يؤكل،
لسان العرب مادة: خزر. أعفاجهنّ الواحد عفج: ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة،

التصديق فيما يقوله فيهن فينشره بين الناس فيكونن على لسان ومسمع كل من هب ودب.

4.3 صورة ضُعفاء القلوب:

جرير الشاعر الذي عدّه الكثير من النقاد أنه لم يتجاوز في هجائه الفرزدق وقومه إلا في ثلاثة أو أربعة أشياء وقد تمت الإشارة إليها سابقاً من خلال هذه الدراسة نجده قد تفوق على تلك الآراء فهو بعد أن صور بني مجاشع وغمز أشكالهم الخارجية بصور هجائية مضحكة وهي عديدة ومتنوعة نجده قد توغل بصورة إلى قلوب خصمه وصدورهم وأحشائها، فيصورها مصابة بالوهن والعجز يقول: (1).

فَلَا تَقْخَرُ وَأَنْتَ مُجَاشِعِيٌّ نَخِيبُ الْقَلْبِ مُنْخَرِقُ الْحَجَابِ (2)

ينهى جرير أي رجل من بني مجاشع بأن يفخر؛ لأنّ جميعهم ضعاف القلوب مخرقوا الحجاب مصابون بالوهن، لا نفع منهم وبهذه الصورة جعلهم ضعاف القلوب كقلوب النساء، فهم أذلاء منحطون وبعد أن ينهى جرير خصومه من التفاخر يستمر في تتبع نقاط الضعف لخصومه فيعلو صوته معلناً مشهراً بها، مخبراً عنهم القريب والبعيد، ولا يتركهم حتى يصبحوا عرضة لكل من هب ودب. يقول: (3).

إِنِّي سَأُخْبِرُ عَنْ بَلَاءِ مُجَاشِعٍ مَن كَانَ بِالنَّخَبَاتِ غَيْرَ خَيْرِ (4)
أَخْزَى بَنِي وَقَبَانَ عَقْرُ فِتَاتِهِمْ وَاعْتَرَّ جَارُهُمْ بِحَبْلِ غُرُورِ

يكشف جرير بني مجاشع الضعفاء الجبناء، فيصور جبنهم زاعماً أنهم لم يستطيعوا الدفاع حتى عن أعراضهم فهم تركوا فتاتهم تصارع الشر وحدها، وأمام أعينهم صاغرين أذلاء لا غيرة فيهم. وفضح سرهم وأخبر عنهم بأنهم لم يحموا جاره، وهذه إهانة تخدش كرامة الإنسان العربي الأصيل منذ القدم فهو في دفاعه عن جاره أو دخيله يفدي الغالي والنفيس.

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 47.

(2) نخيب: جبان كأنه منتزع الفؤاد؛ أي لا فؤاد له، لسان العرب، مادة: نخب .

(3) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 231.

(4) النخبات: الجبناء.

يمطر جرير خصومه بأبشع الصور المهينة للإنسان العفيف الكريم فهو ينفي عنهم الرجولة. يقول: (1)

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعًا شَبَهُ الرَّجَالِ وَمَا هُمْ بِرِجَالِ
أَمَّا سِبَابِي فَالْعَذَابُ عَلَيْهِمْ وَالْمَوْتُ لِلنَّخَبَاتِ عِنْدَ قِتَالِي

ينتزع جرير صفة الرجولة من بني مجاشع فهم قد ترى فيهم وجوه الرجال، ولكن لضعفهم وضعف قلوبهم فهم يشابهون النساء في طباعهن وضعفهن، وقلّة حيلتهن فجرير يوجّه صورته، وما تحمل من هجاء قاسٍ قد جرّد بني مجاشع من الرجولة، ألحق بهم الخزي والعار، ومن ذلك يعلن جرير أن سبابه على بني مجاشع كالعذاب والموت لهم فيما يقوله فيهم. فهو لا يترك خصمه حتى يفرغه من إنسانيته ويرميه قشوراً لا قيمة لها.

يمسك جرير بزمام المبادرة فتجده هو الذي يبدأ متحدياً خصومه بكل شجاعة وثبات وإقدام. يقول: (2).

عَمَدًا عَمَدْتُ لِمَا يَسُوءُ مُجَاشِعًا وَأَقُولُ مَا عَلِمْتُ تَمِيمٌ فَاسْمَعُوا
لَا تُتْبِعُ النَّخَبَاتُ يَوْمَ عَظِيمَةٍ بُلِغْتَ عَزَائِمُهُ وَلَكِنْ تَتَّبِعُ (3)

يصور تعرضه لبني مجاشع عمداً وتحدياً في هجائهم، معلناً ضعف شأنهم على لسان بني تميم والبراعة حاضرة عند الشاعر فقد بدأ بالهجوم، ثم جعل من هذا الهجوم محطة أخبار مديحاً فيها الهون والضعف الذي أصاب قوم مجاشع، وعلى لسان بني تميم وهذا يدل على أن لا مجال للخصم إلا القبول والانسحاب من هذه المعركة الهجائية واستجابتهم لها على سبيل الخضوع والاستسلام.

استطاع جرير أن يسخر صورته الهجائية ويطلقها وابلأ على خصومه، يشوه بها أشكالهم الخارجية تغلغل في قلوبهم وأحشائهم حتى أنه ربما تمكن من أن يجعلهم حقيري الشأن لا يحترمهم الناس، وألحق العيب في بني مجاشع جميعهم فهم يناخبة وكرر هذه الكلمة في سياقات مختلفة، فقد خص بها قلوبهم لا أشكالهم أراد بها أنهم

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 562.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 422.

(3) العظيمة: الكريهة. بلغت عزائمه: أي انتهى إلى ما عزموا إليه

منتزعو الفؤاد أو أصحاب قلوب ميته لا فائدة فيهم فجعل من شبابهم يناخبة والأب نخبة ولم يقف إلى هذا الحد، بل جعل من أهمهم ينخوبة أيضاً يقول: (1).

وأنت ابنُ يَنْخُوبِيَّةٍ مِنْ مُجَاشِعٍ تَخَضُّضَ مِنْ مَاءِ الْقَيْونِ مَفَاصِلُهُ
بعد أن تمكّن جرير من أن يجعل من صفة النخبة ملتصقة في بني مجاشع
نجده يكررها بصور وسياقات مختلفة، وكما عرف عنه صاحب القدرة الفنية العالية
والنباهة في هجائه فهو يلحق هذه الكلمة النخبة فيجعل من الأم ينخوبة ضعيفة الفؤاد
وقد سرى ماء القيون في مفاصلهم فلا مفارقة أو خلاص منه.

قد نال جرير من الخصم بعد أن صورهم بضعف الفؤاد وعجزه نجده يصور بني
مجاشع وقد أنيطت بهم كل المخازي يقول: (2).

مُجَاشِعٌ قَدْ أَقْرَوَا كُلَّ مُخْزِيَةٍ لَا مَنْ يَعْيِيونَ لَا بَلْ فِيهِمُ الْعَابُ
جعل جرير بني مجاشع يعترفون بكل المثالب والمخازي فهم لا يستطيعون
أن يعيبوا أحداً وذلك لأنهم يحملون العيب ويلبسونه ثوباً. وجرير بهذه الصورة
السابقة وغيرها من الصور يحاول أن يثبت للمتلقي أن لا مناص لقبيلة مجاشع إلا
أن يكونوا هكذا. وعليه وأكبر الظن ومن خلال الأبيات السابقة وغيرها من ديوان
الشاعر أنه قد "اتضح الآن كيف أن جريراً يولد في المعاني والصور وإن من
الممكن على هذا القياس أن يجمع شخص من النقائض كل ما جاء داخل فكرة كبيرة
من أفكار الهجاء فتتكون عنده دراسة طريفة لمقدرة جرير وصاحبه العقلية على
التوليد في المعاني وتوسيع طاقتها" (3).

5.3 صورة أهله:

يذهب جرير في هجائه إلى أهل الفرزدق، ويبلغ عبثه بهم كل مبلغ فيصورهم
بصور مزرية يندى لها الجبين فقد بالغ من الفحش والإفداع في نقائضه وأشعاره كل
مبلغ. وقد وظّف جرير تلك الصور توظيفاً فنياً نالت القبول والتشجيع من قبل عامة

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 581

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 67.

(3) ضيف، التطور والتجديد في العصر الأموي، ص 201

الناس البعيد منهم والقريب. ومن تلك الصور شكوك جرير في نسب غالب والد الفرزدق ملحفاً به الكثير من الصور الهجائية، وزعمه لأمر جعثن أخت الفرزدق مع المنقري، وتعرضه في الهجاء لأم الفرزدق ليلي.

6.3 صورة والد الفرزدق:

من تلك الصور شكوك جرير في نسب غالب والد الفرزدق ملحفاً به الكثير من الصور الهجائية.

يرسم جرير هذه الصور بطريقة فاضحة ساخرة منها شكوك جرير في نسب غالب يقول: (1)

يَقُولُونَ: كَلَّا لَيْسَ لَلْقَيْنِ غَالِبٌ بَلَى ! إِنَّ ضَرْبَ الْقَيْنِ بِالْقَيْنِ يُعْرَفُ
وَلَمَّا رَأَوْا عَيْنِي جُبَيْرٍ لَغَالِبِ أَبَانَ جُبَيْرُ الرَّيْبَةِ الْمُتَقَرِّفُ

يفتن جرير بقضية غالب أبي الفرزدق هل هو ابن القين أم لا؟ فيفتن الناس معه حتى أنه يجعل من الناس منهم من يثبت أنها حقيقة، ومنهم من ينفي فنجده يؤكد لهم الإثبات والإعجاب بقوله بلا أن ضرب القين بالقين يعرف فسلوكه ودنايته وذلك الذي عرف به وعمله بالقيانة وقبوله كل إهانة ماهي إلا دلائل واضحة لإثبات نسبه لذلك العبد، فيزعم جرير بالقول إنه فعلاً ابن ذلك القين جبير، وقد أعلن جرير هذه الحقيقة التي كانت تقع بين النفي والإثبات عندما رأى الناس أوجه التشابه والمطابقة في شكل العين فوجدوا تشابهاً كبيراً بين عيني جبير ووالد الفرزدق غالب فأعطى صفة الإثبات لهذه الصورة المزرية التي صور بها غالب وزعم أنه فعلاً ابن ذلك القين.

يستمر جرير في رسم الصور الهجائية التي يرمي بها غالباً فبعد أن شك في ضعة نسبه، وعيره بالقين، وأثبتها عليه وكأنها حقيقة ليست مفتعلة ينظر إلى شكله الخارجي فيصوره قائلاً: (2)

(1) حاوي، شرح ديوان جرير، ص463.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص492، 493.

حَوْضُ الحِمَارِ أَبُو الفَرَزْدَقِ فاعلموا عَدَدَ الأَخَادِعِ وَأَنْشِجَ المِرْفَقِ⁽¹⁾
شَرُّ الخَلِيقَةِ مَنْ عَلِمْنَا مِنْكُمْ حَوْضُ الحِمَارِ وَشَرُّ مَنْ لَمْ يُخَلِّقْ
يصف جرير أبا الفرزدق بهيئة مخيفة وذليلة متقصص الصدر بارز، متشنج
المرفق لا يبسط يده للكرم لا خير فيه ويقول كأنه شر مخلوق على سطح الكرة
الأرضية شكلاً وطبعاً وبهذه الصورة يسلب منه كل محاسن الجمال والطباع ويلصق
الشُرور الموجودة في الخلائق وغير الموجودة به جميعها .

يعمد جرير دائماً في تصوير والد الفرزدق يقول:⁽²⁾

حَوْضُ الحِمَارِ أَبُو الفَرَزْدَقِ فاعرفوا مِنْهُ قَفَاً وَمُقَلِّداً وَعِذَاراً⁽³⁾
يلحق والد الفرزدق صورة، وكأنه شبه الحمار عندما يراه الناظر وذلك عندما
ينظر إلى قفاه، أو عنقه، أو وجهه فهي إشارات دالة إلى ذلك الحيوان الخمل
الحمار، فقد صورّه بهذا الشكل الحيواني تحقيراً وتصغيراً له وتحدياً بهجائه
الفرزدق، وكل من يعترضه.

7.3 صورة أم الفرزدق وأخته جعثن وزوجه النوار:

جرير أمهر الشعراء في قول الهجاء، وإعلامياً محترف في اختراع الإشاعات
وترويجها فهو يتهم أمه ليلي وأخته جعثن بالفحش المقذع وقد صب جام غضبه
عليهن و شروره جميعاً ويفتتن في إشاعت هذه الصور الهجائية بين الناس حتى
يصل إلى غايته وهي الفتك بالخصم، وأن يصل إلى درجة الإقناع بأن كل مايقوله قد
يكون حقيقة وسبة مشينة يلحقها بالفرزدق.

يقول:⁽⁴⁾

(1) حوض الحمار: لقب كان يطلقه جرير على والد الفرزدق؛ لأنه كان أفسأ، أي داخل
الصدر. انظر: أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص918. الأخادع الواحد أخدع:
عرق في صفحة العنق، وهما أخدعان.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص277.

(3) المقلد: هنا موضع القلادة. العذار: العنق.

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص426.

تَلَقَى نِسَاءً مُجَاشِعٍ مِنْ رِيحِهِمْ
لَيْلَى الَّتِي زَفَرَتْ وَقَالَتْ حَبَّذَا
أُخْتُ الْفَرَزْدَقِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمُّهُ
جُرَّتْ فَتَاةٌ مُجَاشِعٍ فِي مَنْقَرٍ
قَدْ تَعَلَّمُ النَّخَبَاتُ أَنْ فَتَاتَهُمْ
مَرَضَى وَهَنَّ إِلَى جُبَيْرٍ نَزَعَ
عَرَقُ الْقِيَانَةِ مِنْ جُبَيْرٍ يَنْبَعُ
بَاتَتْ وَسَايَرْتُهَا الْوَجِيفُ الْأَرْقَعُ⁽¹⁾
غَيْرَ الْمِرَاءِ كَمَا يُجَرُّ الْمَيْكَعُ⁽²⁾
وُطِئَتْ كَمَا وَطِئَ الطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ⁽³⁾

يمضي جرير في طريقه برسم الصور الهجائية فلا يكاد يترك موضوعاً في بني مجاشع إلا وذكره فقد صور نساء مجاشع مرضى لا يطقن رؤية بني مجاشع، وقد شغفن حباً بذلك القين جبير فهن يتهافتن إليه من أجل مواعته. كما صور أمهم ليلى تتمنى وتشغف بجبير وكأنه كواها بنار الشهوة فجعلها تطلب فعل الرذيلة وممارستها معه وتشتهيهِ. ويفتنن في حادثة جعثن، ويصورها متهماً إياها بالزنا معولاً عليها، وقد صوب كل ما في جعبته من سهام محمية اتجاهها وقد شهر بها وقال بأن أخت الفرزدق من أبيه وأمه قد سحبت من خدرها وأعتدي عليها، وحاك الإشاعات في ذلك وكان بارعاً فقد طفق خبرها على مسمع الناس جميعاً فقد سحبت غصباً أمام قومها ولم يحركوا ساكناً، واعتدى عليها المعتدون من بني المنقر، وأصبح هذا الخبر لا يحتاج على دليل كما يزعم جرير فهو بين كالطريق الواضح.

يصور أم الفرزدق بأبشع الصور وإذا هي مصابة بالجرب يقول:⁽⁴⁾
وَأَبْرَأْتُ مِنْ أُمِّ الْفَرَزْدَقِ نَاحِسًا وَقَرُدُ اسْتَهَا بَعْدَ الْمَنَامِ تُثِيرُهَا
فقد صور جرير أم الفرزدق وإذا هي بالجرباء التي تلتصق بها كل دويبة نتيجة حقراتها وقذارتها وما تحمله من دمن في جسمها حتى أنها لا تعرف النوم وهي لا تشبه الناس، بل هي أقرب مايكون إلى الحيوانات في منظرها وذلك ما يلتصق بها من قراد لمص دمائها.

(1) الوجيف: ضرب من السير سريع.

(2) الميكة: السقاء يُدنى فمه من القدير أو من الحوض، فيملاً ثم يجر فيُنحَى، ينظر: أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص1060.

(3) النخبات جمع نُخْبَةٌ: يقال للجان نُخْبَةٌ، وللجبناء نُخْبَاتٌ، لسان العرب مادة: نخب

(4) حاوي، شرح ديوان جرير، ص329.

يعلق أبو عبيدة على البيت السابق يقول: "الناخس يعني الجرب في أصل الذنب. وقوله وقرد استنها يريد قردان استنها من قذارتها ووسخها القراد متعلق بها"⁽¹⁾.

كما يلتفت جرير إلى زوج الفرزدق النوار متّهماً إيّاها زاعماً مواقعتها يقول:⁽²⁾
فبانت نوارُ القَيْنِ رِخْواً حِقَابُهَا تُنَارُ سَاقِي سَاقِهَا حَلَقَ الحِجْلِ⁽³⁾
يصور جرير زوج خصمه الفرزدق النوار بالخيانة معه، و يلحق بها الرذيلة وبهذه الصور الهجائية المقرفة والإفحاش المقذع يسعى جرير إلى النيل من خصمه الفرزدق ويلحق به الهزيمة ويخرجه من هذه المعركة الفنية كما أخرج الشعراء من قبله. وقد أكثر في نقائضه وأشعاره من الإفحاش الواضح والصريح غمز به أمهات الفرزدق وأخته جعثن وزوجه النوار بل شمل إفحاشه نساء قبيلة الفرزدق جميعهن.
لقد كان هذا دأب الشعراء في العصر الأموي أمثال جرير والفرزدق إذ كانوا يتناولون صورة المهجو من حيث الوقعة في الأعراض والأنساب، وذلك أنهم يتعرضون لوصف المرأة على سبيل المثال وصفاً يبالغون فيه حداً لا تستسيغه الأذواق السليمة الحضرية اليوم فيذكرون منها سواتها، ويصورون انحطاط عفتها بالحق أو بالباطل سواء أ كانت زوجاً أم كانت شقيقة"⁽⁴⁾.

وهذا ما سار عليه الفحلان جرير والفرزدق في هجائهما الذي أصبح لهما جمهور ينشوقون ويقفون متلهفين لسماع ما يقولانه في بعضهما من سب في الأنساب وشم في الأعراض منصتين لهما وما كان هدفهما من سماعهما لإقضاء الوقت بالنكتة والإضحاك ولا غرابة في ذلك فإن "لكل عصر طبائعه وظروفه"⁽⁵⁾

(1) أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج2، ص702.

(2) حاوي، شرح ديوان جرير، ص 557.

(3) الحقاب: ما تشده المرأة على وسطها تعلق به الحلي. ساقى، فاعل من ساقه: أصابه.

(4) الدهان، فنون الأدب العربي "الهجاء"، ص 12.

(5) أمين، فوزي، في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 155.

الخاتمة

من خلال استقصاء ديوان جرير وجدت الدراسة أن الشاعر كان له وقفات مع المهجو، وكانت معظم الصور البارزة في شعره الصورة الأخلاقية والصورة الشكلية وصورة قبيلته وأهله.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

ففي الفصل الأول الذي تناول الصورة الأخلاقية تبين ما يأتي:

قدرة جرير الفنية في رسم الصورة الهجائية، وتفننه بها قد مكّنته من أن يضع الفرزدق في صورة هجائية ساخرة متمكنة من الأصل، وكأنها طبيعة مستحكمة فيه، ورذيلة ناشئة بمنشأته، ومن هذه الصور: صورة الذليل الفاقد العفة، وصورة العبد المسترق الزناء الذي يضرب به المثل في الزنا. خلق الصور الناطقة المعبرة ومن المعاني وأن كانت واضحة فهي نافذة معبرة ومؤثرة لدى القارئ والمتلقي.

ورسم الفرزدق في صورة فنية ساخرة، تثير الإضحاك والعجب والتسليية لجمهور المربد. فقد أفرغ جرير الفرزدق من الفضائل جميعها، وألبسه ثوب الخزي والعار، وكأنه حقيقة ثابتة فيه، ومن هذه الصور: صورته شارباً للخمر وصورته لثيماً، وصورته فاجراً فاسقاً، وصورته رجساً عديم الطهارة، وكل معنى من هذه المعاني السابقة يشكّل صورة عامة تتولد منها معاني وصور تؤكد أصالة جرير وقدرته الفنية.

أما في الفصل الثاني الذي تناول الصورة الشكلية فقد تبين فيه ما يأتي:

يتعقب جرير خصمه في كل موقف محاولاً إيقاع ما يمكن إيقاعه من الهجاء للخصم بالاعتماد على الصور الحسية المستمدة من واقع الشاعر الزاهي زهواً بدائياً، النازع إلى اقتباس المشاهد الواقعية التي يناط بالمهجو مبتدعاً له أخزى الصور التي تعد أشد إقذاً منها: الصورة الحيوانية، وصورة الفريسة، وصورته قيناً، وصورته شقي ثمود، وصورته ذليلاً.

أثبت جرير أنه صاحب قدرة فنية عالية؛ إذ باستطاعته أن يتخير لمهجويه من الصور أنواعاً، ويرسمها حينما يشاء.

إن جريراً أفاد من الثقافة الشفهية للعرب وهي الحكم والأمثال، ووصفها في أشعاره بصورة تبعت على الخلق والإبداع بعيدة عن الابتذال والصور المكرورة. أما في الفصل الثالث الذي تناول صورة قبيلة الفرزدق وأهله فقد كُشف فيه ما يأتي: تناول جرير قبيلة الفرزدق، وراح يهجوهم بصور هجائية مختلفة، ومن جوانب متعددة منها: الصورة الحيوانية، وصور النباتات، وصورة اللؤماء، وصورة ضعفاء القلوب فيجردهم بها من أشكال الأدميين والروح الإنسانية، فالبراعة واضحة في صورته، ومؤثرة تلفت نظر المتلقي، وتجعله يتوقف عندها متأملاً.

وضّح الفصل نفسه صورة أهل الفرزدق:

بلغ عبث جرير بأهل الفرزدق بأن صورهم بصور مزرية فقد بالغ من الفحش في أشعاره كل مبلغ وقد وظّف جرير تلك الصور توظيفاً فنياً لا يثير الخصومات، نالت القبول والتشجيع من قبل عامة الناس البعيد منهم والقريب، ومن هذه الصور:

شكوك جرير في نسب غالب والد الفرزدق فقد نسبه إلى ذلك العبد القين جبير، وعيّره بها، وأثبتها عليه، وكأنها حقيقة ليست مفتعلة صورة الحمار فقد صورّ والد الفرزدق بهذا الشكل الحيواني تحقيراً وتصغيراً له، وتحدياً بهجائه الفرزدق وكل من يعترضه.

صورة أم الفرزدق وأخته جعثن وزوجه النوار:

جرير في هجائه يخلق الإشاعات، ويروجها إذ يتهم أم الفرزدق ليلي وأخته جعثن وزوجه النوار بالفحش المقذع فقد صبّ جام غضبه عليهنّ وشروره جميعاً ويتفنن في إشاعة هذه الصور بين الناس حتى يصل إلى غايته وهي الفتك بالخصم، وأن يصل إلى درجة الإقناع بأن كل ما يقوله قد يكون حقيقة وسبة مشينة يلحقها بالفرزدق.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين. (د.ت). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ط، ج3.
- أحمد، محمد فتوح. (1991م). **الشعر الأموي**، دار المعارف، مصر، ط1.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. (356هـ)، (د.ت). **الأغاني**، تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج8.
- الأصمعي. (1981). **فحولة الشعراء**، تحقيق ش. توري، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ط2.
- الأندلسي، أحمد بن عبد ربه. (1989م)، **العقد الفريد**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج5.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. ت (1093 هـ)، (1979)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، ج1.
- التبريزي، الخطيب. (1992م). **شرح ديوان، عنتره**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر. (ت 255هـ)، (1985). **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، ج4.
- الجبوري، يحيى. (2005 م). **الشعر الإسلامي والأموي**، دار البشير، عمان، الأردن، ط1.
- الجرجاني، علي بن عبد العزيز. (1966م). **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط.
- الجمحي، محمد بن سلام. (ت 139هـ)، (د.ت). **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ط، ج2.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. ت (393 هـ) (1987). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، ج4.

حاوي، إيليا. (1982). **شرح ديوان جرير**، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1. حاوي، إيليا. (1982). **شرح ديوان الفرزدق**، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط1، ج2.

الحر، عبد المجيد. (1992م). **جرير شاعر الجزالة والرقعة والعذوبة** "الأغراض والخصائص ومختارات من شعره"، دار الكتب العلمية، ط1. ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. (681 هـ)، (د.ت). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، ج1.

الدهان، محمد سامي. (د.ت). **فنون الأدب العربي "الهجاء"**، دار المعارف، القاهرة، ط3.

الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. ت (279 هـ)، (1985). **الشعر والشعراء**، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2. الذبياني، النابغة. (1976 م). **ديوانه**، تحقيق: محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط. الرفوع، خليل عبد سالم. (2004 م). **الفرزدق قيناً في شعر جرير دراسة في مصدر الصورة وتأصيل دلالاتها، مؤتة للبحوث والدراسات، المملكة الأردنية الهاشمية، المجلد19، العدد8.**

الزهيري، محمد غناوي. (1954 م). **نقائض جرير والفرزدق دراسة أدبية تاريخية**، دار المعارف، بغداد، ط1. الشايب، أحمد. (1954). **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مكتبة النهضة المصرية، ط2.

الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام. (1981). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط1، ج5.

- صبح، علي علي. (1996). البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ط.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن عبدالله. ت(764هـ)، (1991 م). الوافي بالوفيات، تحقيق شكري فيصل، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، ج11.
- ضيف، شوقي. (د.ت). العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط3.
- ضيف، شوقي. (د.ت). التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط8.
- ضيف، شوقي. (د.ت). الشعر وطوابعه الشعرية على مر العصور، دار المعارف، مصر، ط2.
- ضيف، شوقي. (د.ت). العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7.
- ظلمات، غازي، وعرفان الأشقر. (2009م). الشعراء في العصر الأموي، دار الفكر، ط1.
- أبو عبدة. (1998). شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق محمد إبراهيم حور، ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية، ط2، ج1.
- عتيق، عبد العزيز. (2001م). في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. ت(395 هـ)، (1986). الصناعتين (الكتابة والشعر). تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط.
- عطوي، رفيق. (2003م). فن الشعر في العصر الأموي دراسة تحليلية، الأكاديمية اللبنانية للكتاب، بيروت لبنان، ط1.
- الفحام، شاكراً. (1977م). الفرزدق، دار الفكر، دمشق، د.ط.
- القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب. ت(170هـ)، (د.ت). جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، د.ط، ج1.

القط، عبد القادر. (1979م). في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقران، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1988، ط1
ابن كلثوم عمرو. (1991م). ديوانه، تحقيق إميل بديع، دار الكتب العربي، بيروت، ط1.

محمد، محمد حسين. (د.ت). الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى. ت (384هـ)، (1965م)، الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، د.ط.

الملائكة، نازك. (1981م). قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط6.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين. (1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج13.

النص، إحسان. (د.ت). العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، القاهرة، د.ط.

النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني. ت (518 هـ)، (د.ت). مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النصر، دمشق، بيروت، د.ط، ج1.

وهبة، مجدي، وكامل المهندس. (1984). معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، د.ط.

المعلومات الشخصية

الاسم: حمد عبد الله محمد الجبوري

التخصص: ماجستير اللغة العربية وآدابها

الكلية: الآداب

السنة: 2015

هاتف رقم: 009647512575423